جمعية أنصار السنة
فــرع بلبيــس
اللجنــة العلميــة

كتاب الواعظ

٥-٦

جمادى الأولى وجمادى الآخرة - ١٤٣٩هـ

إشراف

صبري بن محمد عبد المجيد

أحمد بن سليمان أيوب

إعــداد

اللجنة العلمية

obeikan.com

وإن تتولوا. . . . يستبدل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وبعد،

فلقد عظمت منة الله على العرب ببعثة النبي العربي إليهم وإنزال الكتاب بلغتهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فما أعظمها من منة فإن لم تشكر ولا تكفر فهي محنة فإن تخاذلنا عن حمل هذه الأمانة فإن الاستبدال حتمٌ، وسيشرف بها غيرنا، والله هو الغني.

فلله تعالى أعمال لا بد من قضائها بنا أو بغيرنا، لأن الإسلام أعز ممن ينتمي إليه فإذا لم يجد أناسا يعرفون قدر نعمة الله عليهم به ويعضون عليه بالنواجذ ويرونه غنيمة ادخرها الله لهم؛ فسيرتحل عنهم إلى غيرهم وسيجعل الله على هذه الأرض طائفة على الحق حتى يأذن الله بخراب العالم **قال النبي -صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله"**(١).

فمن لم يقم بما يجب عليه تجاه دينه أزاغه الله وأقام خيرًا منه، فمن نكل عن الدعوة لدين الله أتى الله بقوم يحملون الدين ويذبون عنه وينشرونه في الآفاق

يقول الله تعالى: **{هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}** (محمد: **٣٨**)

فالآية واضحة في تأكيد الاستغناء عنا إن تولينا ولن نضر الله شيئًا، والمعنى: وإن تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فترتدّوا راجعين عنه (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) يقول: يهلككم ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلا منكم يصدّقون به، ويعملون بشرائعه (ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) يقول: ثم لا يبخلوا بما

---

(١) البخاري(٧٣١١) ومسلم(١٩٢٠)

أُمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيعون شيئًا من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يُؤمرون به. (١)

فيا عجبا لأمة تتسارع على خلع عباءة الدين ونبذ شريعة أرحم الراحمين، اتبعوا الشياطين واقتدوا بالعلمانيين، تبًّا لهؤلاء الحمقى التائهين، إنهم غثاء البشرية، فبعدا للقوم الظالمين

{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ، مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ} [المؤمنون: ٤١-٤٣].

فـ"الغثاء" بقايا ونفايات بشرية خاوية تعيش على هامش الحياة، فليس لهم عند الله وزن ولا عند الناس شأن، لما رفضوا حمل الدين سلط الله عليهم المجرمين فقطَّعوا بلادهم، ونهبوا أموالهم، واستباحوا أعراضهم

فلما هانوا على الله أقام فيهم سنة الاستبدال ليستخلف خيرًا منهم، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (المائدة: ٥٤)**

قال شيخ الإسلام: وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ قُرُونِ الْأُمَّةِ. وَهُوَ لَمَّا نَهَى عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ وَبَيَّنَ أَنَّ مَنْ تَوَلَّاهُمْ مِنْ الْمُخَاطَبِينَ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ بَيَّنَ أَنَّ مَنْ تَوَلَّاهُمْ وَارْتَدَّ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ لَا يَضُرُّ الْإِسْلَامَ شَيْئًا.

بَلْ سَيَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ فَيَتَوَلَّوْنَ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ الْكُفَّارِ وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ كَمَا قَالَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ {فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا

(١) جامع البيان

بِكَافِرِينَ}. فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْهُ بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهِ - لَا يَضُرُّونَ الْإِسْلَامَ شَيْئًا. بَلْ يُقِيمُ اللَّهُ مَنْ يُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ وَيَنْصُرُ دِينَهُ إلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. وَأَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ مِمَّنْ جَاءَ اللَّهُ بِهِمْ لَمَّا ارْتَدَّ مَنْ ارْتَدَّ إذْ ذَاكَ. وَلَيْسَتْ الْآيَةُ مُخْتَصَّةً بِهِمْ وَلَا فِي الْحَدِيثِ مَا يُوجِبُ تَخْصِيصَهُمْ. بَلْ قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ يَأْتِي بِغَيْرِ أَهْلِ الْيَمَنِ كَأَبْنَاءِ فَارِسَ لَا يَخْتَصُّ الْوَعْدُ بِهِمْ. بَلْ قَدْ قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إلَّا قَلِيلٌ} {إلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} وَهَذَا أَيْضًا خِطَابٌ لِكُلِّ قَرْنٍ وَقَدْ أَخْبَرَ فِيهِ أَنَّهُ مَنْ نَكَلَ عَنْ الْجِهَادِ الْمَأْمُورِ بِهِ عَذَّبَهُ وَاسْتَبْدَلَ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِالْجِهَادِ. وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ. . . . . وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ وَالْقِتَالِ وَالْمَالِ؛ مَعَ الطَّوَائِفِ الْأَرْبَعَةِ مُؤْمِنُونَ مُجَاهِدُونَ مَنْصُورُونَ إلَى قِيَامِ السَّاعَةِ كَمَا مِنْهُمْ مَنْ يَرْتَدُّ أَوْ مَنْ يَنْكُلُ عَنْ الْجِهَادِ وَالْإِنْفَاقِ. وَكَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ}. فَهَذَا الْوَعْدُ مُنَاسِبٌ لِكُلِّ مَنْ اتَّصَفَ بِهَذَا الْوَصْفِ. فَلَمَّا اتَّصَفَ بِهِ الْأَوَّلُونَ اسْتَخْلَفَهُمْ اللَّهُ كَمَا وَعَدَ. وَقَدْ اتَّصَفَ بَعْدَهُمْ بِهِ قَوْمٌ بِحَسَبِ إيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمْ الصَّالِحِ.

فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إيمَانًا وَعَمِلَ صَالِحًا كَانَ اسْتِخْلَافُهُ الْمَذْكُورُ أَتَمَّ. فَإِنْ كَانَ فِيهِ نَقْصٌ وَخَلَلٌ كَانَ فِي تَمْكِينِهِ خَلَلٌ وَنَقْصٌ. وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا جَزَاءُ هَذَا الْعَمَلِ فَمَنْ قَامَ بِذَلِكَ الْعَمَلِ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ الْجَزَاءَ. (١)

ولهذا لما تولى بعض العرب عن حمل الدين وحفظه استبدل الله بهم قوما من العجم والموالي أقام الله بهم دينه، بل لا أبالغ إذا قلت: إن كبار المحدثين والفقهاء في أهل

(١) مجموع الفتاوى(١٨/ ٣٠٠)

الإسلام من العجم والموالي لم أكن مبالغا، ألا يكفينا أصحاب الكتب الستة الجامعة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم فجميعهم من بلاد العجم وما وراء النهر حفظوا ما لم يحفظه العرب ودونوا ما لم يدونه العرب وما زلنا نهرع إلى اليوم ليتصل سندنا بنبينا فنجلس تحت أقدام محدثي الهند وباكستان وغيرهما من بلاد العجم والعرب تحت أقدامهم ينهلون من علومهم

عن حميد الطويل قال: قدم رجل من أهل البادية البصرة، فاستقبله خالد بن مهران، فقال له: يا أبا عبد الله، أخبرني عن سيد أهل هذا المصر من هو؟ قال: الحسن بن أبي الحسن قال: أعربي أو مولى؟ قال: مولى قال: مولى لمن؟ قال: للأنصار قال: فبم سادهم؟ فقال: احتاجوا إليه في دينهم، واستغنى هو عن دنياهم. فقال البدوي: "**كفى بهذا سؤددا**"(١)

وعن مُحَمَّد بْن مُسْلِمِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيَّ قال: " قَدِمْتُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَقَالَ لِي: مِنْ أَيْنَ قَدِمْتَ يَا زُهْرِيُّ؟ قُلْتُ: مِنْ مَكَّةَ، قَالَ: فَمَنْ خَلَّفْتَ يَسُودُ أَهْلَهَا؟ قَالَ: قُلْتُ: عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: فَمِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنَ الْمَوَالِي، قَالَ: وَبِمَ سَادَهُمْ، قَالَ: قُلْتُ: بِالدِّيَانَةِ، وَالرِّوَايَةِ، قَالَ: **إِنَّ أَهْلَ الدِّيَانَةِ، وَالرِّوَايَةِ لَيَنْبَغِي أَنْ يَسُودُوا**، فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الْيَمَنِ؟ قَالَ: قُلْتُ: طَاوُسُ بْنُ كَيْسَانَ، قَالَ: فَمِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنَ الْمَوَالِي، قَالَ: وَبِمَ سَادَهُمْ، قَالَ: قُلْتُ: بِمَا سَادَهُمْ بِهِ عَطَاءٌ، قَالَ: إِنَّهُ لَيَنْبَغِي، فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ مِصْرَ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، قَالَ: فَمِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي، قَالَ: قُلْتُ: مِنَ الْمَوَالِي، قَالَ: فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الشَّامِ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَكْحُولٌ، قَالَ: فَمِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنَ الْمَوَالِي عَبْدٌ نُوبِيٌّ أَعْتَقَتْهُ امْرَأَةٌ

(١) المحدث الفاصل (٢٤٤)

مِنْ هُذَيْلٍ، قَالَ: فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الْجَزِيرَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ، قَالَ: فَمِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنَ الْمَوَالِي، قَالَ: فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ خُرَاسَانَ؟ قَالَ: قُلْتُ: الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ، قَالَ: فَمِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنَ الْمَوَالِي، قَالَ: فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الْبَصْرَةِ؟ قُلْتُ: الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ، قَالَ: فَمِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنَ الْمَوَالِي، قَالَ: وَيْلَكَ، فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الْكُوفَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، قَالَ: فَمِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ: وَيْلَكَ يَا زُهْرِيُّ، فَرَّجْتَ عَنِّي، **وَاللَّهِ لَيَسُودَنَّ الْمَوَالِي عَلَى الْعَرَبِ حَتَّى يُخْطَبَ لَهَا عَلَى الْمَنَابِرِ، وَالْعَرَبُ تَحْتَهَا**، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، **إِنَّمَا هُوَ أَمْرُ اللَّهِ وَدِينُهُ، مَنْ حَفِظَهُ، سَادَ، وَمَنْ ضَيَّعَهُ سَقَطَ** "(١)

نعم والله لن يقف الدين على جنس أو بلد أو طائفة أو جماعة أو فرد، وكلما تنكبت طائفة عن حمل الدعوة والعمل لدين الله فليسوا بأعز على الله من أهل مكة فسنة الاستبدال قائمة لكل من تولى: {**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا**} **(الفرقان: ٧٧)**

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أحمد بن سليمان

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم (١٩٨)

obeikan.com

المسجد الأقصى ومسؤولية الأمة

إنه المسجدُ الأقصى بيتُ المَقْدِس، ربوةٌ مباركة ذاتُ قرار ومعين، أرضٌ مقدسة، مُتَعبَّدُ الأنبياء السابقين، ومسرى خاتم النبيين، ومعراجه إلى السماوات العلى والمشهد الأسمى. بيتٌ نوّه اللهُ به في الآيات المفصَّلة، وتُليت فيه الكتب الأربعة المنزلة. لأجله أمسك الله الشمسَ على يوشع بن نون أن تغربَ، ليتيسر فتحُه على مَن وُعِدوا به ويَقْرُبَ. وهو قبلةُ الصلاة في الملتين، وفي صدر الإسلام بعد الهجرتين، وهو أولى القبلتين، لا تشدّ الرحال بعد المسجدين إلا إليه، ولا تُعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه. (١)

-أسماء المسجد الأقصى وسبب التسمية

لبيت المقدس عدة أسماء تقرب من العشرين من أهمها:

الأول: المسجد الأقصى، وسُمي الأقصى لبُعْده عن المسجد الحرام في المسافة.

وقال الزمخشري: سُمي الأقصى لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد. وقيل: لبعده عن الأقذار والخبث.

الثاني: مسجد إِيلِيَاء، قيل: معناه بيت الله.

الثالث: بَيْتُ الْمَقْدِسِ: أي المكان الذي يطهر فيه من الذنوب والمقدس، المطهر. (٢)

من الأخطاء: قول بعضهم ثالث الحرمين

شاعت تسمية المسجد الأقصى بالحرم عند عامة الناس، فنجدهم يطلقون على المسجد الأقصى الحرم أو الحرم الشريف، وهذه التسمية غير صحيحة لأن المعلوم عند

---

(١) تفسير القاسمي (٦/ ٤٢٩)

(٢) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي (ص: ٢٧٨) وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٦٥)

obeikan.com

أهل العلم أنه لا يوجد عند المسلمين إلا حرمان وهما حرم مكة وحرم المدينة وهذا باتفاق أهل العلم وعند الشافعية أضافوا ثالثاً وهو وادي وُجٌّ بالقرب من الطائف.

قال ابن تيمية: ليس ببيت المقدس مكان يسمى " حرما " ولا بتربة الخليل ولا بغير ذلك من البقاع إلا ثلاثة أماكن: **أحدها:** هو حرم باتفاق المسلمين وهو حرم مكة شرفها الله تعالى. **والثاني:** حرم عند جمهور العلماء وهو حرم النبي ﷺ من عَيْر إلى ثور بريد في بريد؛ فإن هذا حرم عند جمهور العلماء، **والثالث:** " وُجٌّ " وهو وادٍ بالطائف. وهذا حرم عند الشافعي لاعتقاده صحة الحديث وليس حرما عند أكثر العلماء وأحمد ضعف الحديث المروي فيه فلم يأخذ به.

وأما ما سوى هذه الأماكن الثلاثة فليس حرما عند أحد من علماء المسلمين، فإن الحرم ما حرم الله صيده ونباته ولم يحرم الله صيد مكان ونباته خارجا عن هذه الأماكن الثلاثة. (١)

المحور الأول: مكانة المسجد الأقصى

للمسجد الأقصى وبيت المقدس فضائل جمة وبركات وفيرة ذُكِرت في كتاب الله وسُنة نبيه ﷺ منها:

- هو أولى القبلتين

عن الْبَرَاء بن عازب رضي الله عنه قال: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفْنَا نَحْوَ الْكَعْبَةِ. (٢)

- هو ثاني مسجد وضع في الأرض لعبادة الله وتوحيده

لأن الكعبة بنيت قبله بأربعين سنة، **ففي الصحيحين من حديث أبي ذر** رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ « الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ » قُلْتُ:

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٥)

(٢) رواه البخاري (٤٠) ومسلم (٥٢٥) واللفظ له.

ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: « الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى » قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: « أَرْبَعُونَ عَامًا، ثُمَّ الْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ، فَحَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ ». (١)

قوله ﷺ (أربعون عاما) فيه إشكال، لأن إبراهيم عليه السلام بنى الكعبة، وسليمان عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى وبينهما أكثر من ألف سنة.

والجواب أن الإشارة إلى أول البناء ووضع أساس المسجد وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس، قال القرطبي: إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدا وضعهما لهما، بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما. (٢)

- هو أحد المساجد الثلاثة التي يجوز للمسلم أن يشد الرحال إليها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النَّبِيَّ ﷺ قال: « **لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى** ». (٣)

وفي لفظ لمسلم: « إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ إِيلِيَاءَ ».

قال النووي: إيلياء: هو بيت المقدس، وفي هذا الحديث فضيلة هذه المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال إليها لأن معناه عند جمهور العلماء لا فضيلة في شد الرحال إلى مسجد غيرها. (٤)

قال ابن حجر: المراد النهي عن السفر إلى غيرها. **قال الطيبي:** هو أبلغ من صريح النهي كأنه قال: لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع لاختصاصها بما اختُصت

---

(١) رواه البخاري (٣٣٦٦) ومسلم (٥٢٠)

(٢) راجع تفسير القرطبي (٤/ ١٣٨) وفتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٠٨)

(٣) رواه البخاري (١١٨٩) ومسلم (١٣٩٧)

(٤) شرح النووي على مسلم (٩/ ١٦٨)

به. والرِّحال: جمع رحل وهو للبعير كالسرج للفرس وكنى بشد الرحال عن السفر لأنه لازمه وخرج ذكرها مخرج الغالب في ركوب المسافر وإلا فلا فرق بين ركوب الرواحل والخيل والبغال والحمير والمشي في المعنى المذكور. (١)

قال ابن تيمية: فمنع ﷺ من السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة فغير المساجد أولى بالمنع؛ لأن العبادة في المساجد أفضل منها في غير المساجد، وهذا يتناول المنع من السفر إلى كل بقعة مقصودة؛ بخلاف السفر للتجارة وطلب العلم ونحو ذلك. (٢)

- إليه أُسري بالنبي ﷺ ومنه بدأ معراجه

فالمسجد الأقصى هو محور معجزة الإسراء والمعراج؛ إليه انتهى الإسراء ومنه بدأ المعراج إلى السماوات العُلا؛ وفيه صلى رسول الله ﷺ إماماً بالأنبياء والرسل جميعاً؛ قال تعالى { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الإسراء: ١]

قال ابن كثير: {من المسجد الحرام} وهو مسجد مكة {إلى المسجد الأقصى} وهو بيت المقدس الذي هو إيلياء، معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل؛ ولهذا جمعوا له هنالك كلهم، فأمهم في محلتهم، ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. (٣)

- مُبارك ما فيه وما حوله

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٦٤)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢١) باختصار

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٥)

قال تعالى { **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** } [الإسراء: ١]

قال مجاهد: سماه مباركا لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي، ومنه يحشر الناس يوم القيامة. (١)

قال ابن عطية: البركة حوله هي من جهتين، إحداهما النبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر وفي نواحيه وبواديه، والأخرى النّعم من الأشجار والمياه والأرض المفيدة التي خص الله الشام بها. (٢)

قال القاسمي: فاكتنفته البركة الإلهية من نواحيه كلها. فبركته إذن مضاعفة، لكونه في أرض مباركة، ولكونه من أعظم مساجد الله تعالى. والمساجد بيوت الله. ولكونه متعبد الأنبياء ومقامهم ومهبط وحيه عليهم، فبورك فيه ببركتهم ويمنهم أيضا. (٣)

وقال تعالى: { **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ**} [سبأ: ١٨]

قال ابن عطية: والقرى التي بورك فيها هي بلاد الشام بإجماع من المفسرين. (٤)

وبركات الشام الواصلة إلى العالمين: أن أكثر الأنبياء عليهم السلام بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية. وقيل: بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغنيّ والفقير. (٥)

- وُصف في القرآن بالأرض المقدسة

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ٥٨)

(٢) تفسير ابن عطية (٣/ ٤٣٦)

(٣) تفسير القاسمي (٦/ ٤٢٩)

(٤) تفسير ابن عطية (٤/ ٤١٥)

(٥) تفسير الزمخشري (٣/ ١٢٦)

قال تعالى عن موسى عليه السلام: { يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [المائدة: ٢١]

قال الزجاج: المقدسة الطاهرة، سماها مقدسة لأنها طهرت من الشرك وجعلت مسكنا للأنبياء والمؤمنين، وسُمّي بيت المقدس، لأنه يتطهر فيه من الذنوب. (١)

ووصف القرآن أرضها بالرَّبوة ذات الخصوبة وهي أحسن ما يكون فيه النبات، وماءها بالمعين الجاري، قال تعالى: { **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** } [المؤمنون: ٥٠]

قال ابن عباس: هي بيت المقدس، وهو قول قتادة والضحاك وكعب. **قال ابن كثير:** وهو الأظهر. (٢)

- هو مهبط الوحي وموطن الأنبياء

قال تعالى: { **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**} [الأنبياء: ٧١]

قال ابن كثير: هي بلاد الشام. (٣) ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة، وحقت أن تكون كذلك، فهي مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحى إليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا. (٤)

إنها أرض الأنبياء والمرسلين، فعلى أرضها عاش إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوط وداود وسليمان وصالح وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وغيرهم

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٣٢)

(٢) تفسير البغوي (٥/ ٤١٩) وتفسير ابن كثير (٥/ ٤٧٧)

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٥٣)

(٤) تفسير الزمخشري (٣/ ٣٥٠)

الكثير ممن لم تذكر أسماؤهم من أنبياء بني إسرائيل.

- مَنْ أتاه لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لَمَّا فَرَغَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللَّهَ ثَلاَثًا: حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، وَمُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَلَّا يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلاَةَ فِيهِ، إِلَّا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **أَمَّا اثْنَتَانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ** ». (١)

ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يأتي من الحجاز فيدخل فيصلي فيه ثم يخرج ولا يشرب فيه ماء رجاء أن تصيبه دعوة سليمان. وكان الصحابة ثم التابعون يأتون إليه كذلك. (٢)

- بيت المقدس من الأماكن التي لا يدخلها الدجال

عن رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: « أُنْذِرُكُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، أُنْذِرُكُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، وَهُوَ رَجُلٌ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، يَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، مَعَهُ جِبَالُ خُبْزٍ وَأَنْهَارُ مَاءٍ، يَبْلُغُ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَنْهَلٍ، لاَ يَأْتِي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ فَذَكَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَالْمَسْجِدَ الأَقْصَى، وَالطُّورَ، وَالْمَدِينَةَ ». (٣)

- وفي أنحائه يُقتل الدجال

فالدجال يقتل قريباً من بيت المقدس يقتله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما جاء في الحديث « فَيَطْلُبُهُ (أي عيسى عليه السلام) حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ ». (٤)

قال النووي: (بابُ لُدّ) بلدة قريبة من بيت المقدس. (١)

---

(١) رواه النسائي (٢/ ٣٤) وابن ماجه (١٤٠٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٢٠)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٥٨)

(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٣٤) وصحح إسناده الأرنؤوط في تعليقه على المسند (٣٩/ ٨٨)

(٤) رواه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

- إنها الأرض التي تبسط عليها الملائكة أجنحتها

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **طُوبَى لِلشَّامِ، طُوبَى لِلشَّامِ** ». قُلْنَا: لِأَيٍّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « **لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا** ». (٢)

- إنها أرض المحشر والمنشر

قال تعالى: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ} [ق: ٤١]

قال قتادة: كنا نحدث أنه ينادي من بيت المقدس من الصخرة، وهي أوسط الأرض. (٣)

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **الشَّامُ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ** ». (٤)

قال ابن تيمية: دلت الدلائل المذكورة على أن " ملك النبوة " بالشام والحشر إليها. فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر. وهناك يحشر الخلق. (٥)

- صلاح أهلها علامة صلاح الأمة

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ، فَلاَ خَيْرَ فِيكُمْ ». (٦)

- موطن الإيمان عند وقوع الفتن

عن عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه عن رَسُول اللهِ ﷺ قال: « بَيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي، أَتَتْنِي الْمَلاَئِكَةُ فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلاَ فَالإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٦٨)

(٢) رَواه أَحْمد (٥/ ١٨٤) وَالتِّرْمِذِيّ (٣٩٥٤) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٦٦)

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٧٥)

(٤) رواه البزار (٣٩٦٥) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/ ٦٨) والطبراني في مسند الشاميين (٢٧١٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٩٣)

(٥) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٣)

(٦) رواه أحمد (٣/ ٤٣٦) والترمذي (٢١٩٢) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٧١)

الْفِتَنُ بِالشَّامِ ». (١)

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلاَ وَإِنَّ الإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ ». (٢)

- إنها أرض الخلافة الإسلامية في آخر الزمان

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَوَالَةَ الْأَزْدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: وَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، ثُمَّ قَالَ: « يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلاَفَةَ قَدْ نَزَلَتْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتْ الزَّلاَزِلُ وَالْبَلاَيَا، وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ ». (٣)

أي إذا انتقلت الخلافة من المدينة إلى أرض الشام. (٤)

قال ابن تيمية: دلت الدلائل المذكورة على أن " ملك النبوة " بالشام والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام. وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس فأول الأمة خير من آخرها. وكما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام كما أسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. فخيار أهل الأرض في آخر الزمان ألزمهم مهاجر إبراهيم - عليه السلام - وهو بالشام. (٥)

- دعوة موسى عليه السلام

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٩٨) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٩٥)

(٢) رواه أحمد (٥/ ١٩٨) وصححه ابن حجر في الفتح (١٢/ ٤٠٣) والألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام (ص: ١٢)

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٨٨) وأبو داود (٢٥٣٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢٩٤)

(٤) عون المعبود (٧/ ٢١٠)

(٥) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٣)

كان من تعظيم موسى عليه السلام للأرض المُقدسة وبيت المقدس أن سأل الله تبارك وتعالى عند الموت أن يُدنيه منها؛

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه في سياق قصة إرسال ملك الموت لقبض روح موسى عليه السلام قال: « فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ، لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ** ». (١)

قال النووي: وأما سؤاله الإدناء من الأرض المقدسة فلشرفها وفضيلة من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم. (٢)

-بشر النبي ﷺ بفتحه

عن عَوْف بْن مَالِكٍ رضي الله عنه: أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « **اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ** ». وذكر الحديث. (٣)

فعدَّ النبي ﷺ فتح بيت المقدس من علامات الساعة لأهمية هذا الحدث ومكانته عند المسلمين وشرف هذه البقعة.

المحور الثاني: الأمانة والمسؤولية

وبعد كل هذه الفضائل، فينبغي لكل مسلم أن يعلم ويعي تماما أن قضية المسجد الأقصى ليست قضية فئة بعينها ولا دولة بذاتها، وإنما هي قضية أمة بأسرها، علينا ان نعلم أن قضية الأقصى جزء من عقيدتنا، وعلينا أن نعلم أن تدنيس اليهود لهذه البقعة الطاهرة اليوم من أعظم البلاء والامتحان لهذه الأمة، وعودةُ اليهود قتلةِ الأنبياء لأرض الأنبياء من قدر الله ليكون الثأر منهم على يد هذه الأمة بأذن الله، قال تعالى:

---

(١) رواه البخاري (١٣٣٩) ومسلم (٢٣٧٢)

(٢) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٢٨)

(٣) رواه البخاري (٣١٧٦)

openkan.com

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأعراف: ١٦٧]

قال ابن كثير: إن الآية في اليهود، وإن الذين يسومونهم محمد ﷺ وأمته إلى يوم القيامة. (١)

فالمسجد الأقصى قلب بلاد الشام، وهي ملك أمة محمد ﷺ احتلها اليهود اليوم لينفذ قدر الله بأن تأخذ أمة محمد شرف الانتصار للأنبياء الذين عاشوا فيها وقتلوا على أيدي اليهود فيها.

وكلما ادلهمت الخطوبُ واشتدت المحن، فإن المسلم المستنير بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا تزيدُه تلك الأحداثُ إلا يقينًا بوعد الله الصادق بالنصر والتمكين للمسلمين في الأرض كلها، وفي تلك الأرض خصوصًا

نسأل الله أن يحرر الأقصى من دنس اليهود وأن يكتب لنا صلاة فيه

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٧)

obeikan.com

أسباب النصر والتمكين بين التداعي والتخاذل

إن المتأمل في واقع المسلمين اليوم، والمتأمل في الأحداث الجارية والوقائع الساخنة، ليدرك تمام الإدراك صدق نبوة النبي ﷺ حينما يرى الأمم الكافرة تتداعى على أمة الإسلام كما يتداعى الجياع إلى قصعتهم، فيقع ذلك الإخبار الغيبي الذي أخبر عنه ﷺ كفلق الصبح، **فعَنْ ثَوْبَانَ** رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا »، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ »، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: « حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ». (١)

ولو سأل سائل: ما هو سبب تداعي هذه الأمم الكافرة على أمة الإسلام؟

يجد الردّ واضحا في قول الله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } [الشورى: ٣٠]

قال ابن كثير: أي: مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمتْ لكم {ويعفو عن كثير} أي: من السيئات، فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها. (٢)

وقال تعالى: { أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} [آل عمران: ١٦٥]

فكل ما يقع على الأمة من ذلٍّ وهوان، وما يحدث لها من مصائب إنما سببه ومصدره الذنوب والمخالفات، والهث خلف الدنيا وشهواتها، والإعراض عن مصدر عزها، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما،

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٧٥)

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٠٧)

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ ». (١)

والعينة نوع من أنواع الربا، الذي قال الله عنه في كتابه **قال تعالى**: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]

فهذا إعلام من الله لأمةٍ فشا فيها الربا: إعلام بالحرب؟ نعم حرب، هذا جزاء الربا وحده، فما بالُكم إذا ضُمَّ إليه انتشار الزنا والتبرج والمخدرات؟ ، وما بالكم إذا ضُمَّ إليه التبجح بأنواع الفجور والمعاصي والتملص من الشريعة وأحكامها والطعن في ثوابتها بالليل والنهار؟

ومع كل ذلك فالخير في الأمة وفي أبنائها إلى يوم القيامة، والنصر قريب إن شاء الله، **عن مُعَاوِيَةَ** رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ ». (٢)

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ ». (٣)

عن أَبِي عِنَبَةَ الْخَوْلَانِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ ». (٤)

النصر قريب وإن رغمت أنوف

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٦٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٤٢)

(٢) رواه مسلم (١٠٣٧)

(٣) رواه أحمد (٣/ ١٣٠) والترمذي (٢٨٦٩) وصححه الباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٥٦)

(٤) رواه أحمد (٤/ ٢٠٠) وابن ماجه (٨) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(٥/ ٥٧١)

مهما تلاحقت الخطوب واشتدت وتفنن الأعداء في أساليب العداوة والبغضاء، فلا ننسى أن نصر الله قريب، وأن كيد الشيطان ضعيف، وأن الغلبة في النهاية للحق وأهله: { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ } [الرعد: ١٧].

يقول الله عز وجل: { حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [يوسف: ١١٠]

ولكن لابد من التمحيص والابتلاء ليظهر ولي الرحمن من ولي الشيطان، **قال تعالى** {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: ٢١٤]

وقال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } [آل عمران: ١٤٢]

فالله وعدنا بنصره إن كنّا مؤمنين ونصرنا دينه ورفعنا رايته، فالمسلم يوقن بأن الله ناصره وناصر دينه مهما طال الزمن، ومهما قويت شوكة الباطل، **قال تعالى:** { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: ١٠٥]

وقال تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]

وقال تعالى: { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } [غافر: ٥١]

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ، وَالدِّينِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ

فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ ». (١) فقوله ﷺ: (بشر هذه الأمة بالسناء) أي ارتفاع المنزلة والقدر. (والدين) هو الإسلام، والمراد بشرهم بأنهم يثبتون عليه وأنه لا يزيده الله إلا قوة وأنه يظهره على الدين كله كما وقع ذلك. (٢)

وعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ». (٣)

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلاَ يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ** ». (٤)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ ». (٥)

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عن حُذَيْفَة بن اليمان رضي الله عنهم: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٣٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٤٥)

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (٤/ ٥٤٦)

(٣) رواه مسلم (٢٨٨٩)

(٤) رواه أحمد (٤/ ١٠٣) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(١/ ٣٢)

(٥) رواه مسلم (٢٩٢٢)

جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ». (١)

قال الألباني رحمه الله: ومن البعيد عندي حمل الحديث على عمر بن عبد العزيز، لأن خلافته كانت قريبة العهد بالخلافة الراشدة ولم تكن بعد ملكين: ملك عاض وملك جبرية، والله أعلم. (٢)

أسباب النصر والتمكين

كلُّ ما مضى بشريات عظيمات ووعدٌ صادق من الصادق ﷺ لن يتخلف أبدا، ولكن لابد للنصر من أسباب وطرق تُسلك حتى يتحقق هذا النصر

قال الشيخ الألباني رحمه الله: مما لا شك فيه أن تحقيق انتشار الإسلام في الأرض يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم وماديا تهم وسلاحهم حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والطغيان. (٣)

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١]

إذاً ما هو الحل؟ و ما هي أسباب النصر والتمكين؟

السبب الأول: الإيمان والعمل الصالح

فأول أسباب النصر أن نصلح حالنا مع ربنا ونحقق العبودية التي هي الغاية من الخلق، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور: ٥٥]

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٧٣) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٥)

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٥)

(٣) أحمد(٢/ ١٧٦) والدارمي (١ / ١٢٦) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(١/ ٣٢)

فعلق الوعد بالتمكين هنا بأربعة أمور:

١ – وجود الجماعة المؤمنة وتحقيق الإيمان فيها.

٢ – عمل الصالحات: من القيام بشرائع الدين وتنفيذ أوامر الله.

٣ – التزام نهج الصحابة، لقوله: {مِنكُمْ} فالخطاب لهم، وينسحب على من نهج نهجهم.

٤ – انتفاء الشرك في العبادة: {يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا}. (١)

وقال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧]

وقال تعالى {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } [الروم: ٤٧]

قال ابن القيم: النصر والتأييد الكامل. إنما هو لأهل الإيمان الكامل، فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد، ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله، أو بإدالة عدوه عليه، فإنما هي بذنوبه، إما بترك واجب، أو فعل محرم وهو من نقص إيمانه. (٢)

السبب الثاني: وجود علماء ودعاة ربانيين

إن تحقيق الإيمان والعمل الصالح لدى أفراد الأمة إنما يكون بالدعوة إلى الله عز وجل تصفيةً وتربيةً، على أيدي العلماء الربانيين الذين هم اتباع سيد المرسلين ﷺ، قال تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: ١٠٨]

قال ابن القيم: فسبيلُه وسبيل أَتْبَاعه الدعْوَة إِلَى الله فَمن لم يدع إِلَى الله فَلَيْسَ على سَبيله. (٣)

---

(١) مقال لأحمد الشهري بمجلة البيان (٢٠٤/ ٢٣)

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٨٢)

(٣) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص: ٢١)

وقال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥]

وقال تعالى: { فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } [الفرقان: ٥٢]

قال ابن القيم: فهذا جهادٌ بالقرآن وهو أكبر الجهادين. (١)

السبب الثالث: نصر دين الله

من أعظم أسباب النصر نصر دين الله - تبارك وتعالى -، والقيام به قولاً، واعتقاداً، وعملاً، ودعوةً، قال تعالى: { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: ٤١]

وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧]

قال السعدي: هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره. (٢)

السبب الرابع: التوكل على الله والأخذ بالأسباب

التوكل على الله تعالى مع إعداد القوة من أعظم عوامل النصر، قال ابن القيم: التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق. (٣)

قال تعالى: { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٧٠)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٨٥)

(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ٨٦)

قال ابن القيم: التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، فإن الله حسبه أي كافية ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى. (١)

قال تعالى: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٦٠]

قال السعدي: أي: إن يمددكم الله بنصره ومعونته {فلا غالب لكم} فلو اجتمع عليكم من في أقطارها وما عندهم من العدد والعُدد، لأن الله لا مغالب له، وقد قهر العباد وأخذ بنواصيهم، فلا تتحرك دابة إلا بإذنه، ولا تسكن إلا بإذنه.

{وإن يخذلكم} ويكلكم إلى أنفسكم {فمن ذا الذي ينصركم من بعده} فلا بد أن تنخذلوا ولو أعانكم جميع الخلق. وفي ضمن ذلك الأمر بالاستنصار بالله والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة، ولهذا قال: {وعلى الله فليتوكل المؤمنون} بتقديم المعمول يؤذن بالحصر، أي: على الله توكلوا لا على غيره، لأنه قد علم أنه هو الناصر وحده، فالاعتماد عليه توحيد محصل للمقصود، والاعتماد على غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار. (٢)

السبب الخامس: التضرع إلى الله والإلحاح في الدعاء والاستغاثة به سبحانه

من أعظم وأقوى عوامل النصر التضرع إلى الله والاستغاثة به، لأنه القوي القادر على هزيمة أعدائه، ونصر أوليائه قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦]

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٩)

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٥٤)

قال ابن القيم: الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، ومن أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه، ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن. (١)

وقال تعالى {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل: **٦٢**]

قال ابن القيم: المعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به والخذلان في مواضعه اللائقة به هو العليم الحكيم وما أتي من أتي إلا من قبل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء. (٢)

ولهذا كان النبي ﷺ يدعو ويستغيث ربه تبارك وتعالى في معاركه؛ فينصره ويمده بجنوده، قال تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: **٩**]

وهكذا كان ﷺ يدعو الله في جميع معاركه، **فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَالَ: « اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ ». (٣)

---

(١) الداء والدواء (ص: ١٠)

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ٩٧)

(٣) رواه أبو داود (٢٦٣٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٦٥)

وفي غزوة بدر ظل ﷺ طوال ليلته يتضرع ويدعو ربه عَنْ **عَلِيّ بن أبي طالب** رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا لَيْلَةَ بَدْرٍ، وَمَا مِنَّا إِنْسَانٌ إِلاَّ نَائِمٌ، إِلاَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَيَبْكِي وَيَدْعُو حَتَّى أَصْبَحَ. (١)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، « قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ » حِينَ قَالُوا: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ}. (٢)

وهكذا ينبغي أن يكون حال المسلم وقت الشدائد، لأن الدعاء يدفع الله به من البلاء ما الله به عليم، ، فعَنْ سَلْمَانَ الفارسي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ ». (٣)

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم الأمة بالله ورسوله ﷺ وأفقههم في دينه، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم.

وكان عمر رضي الله عنه يستنصر بالدعاء على عدوه، وكان أعظم جنديه، وكان يقول لأصحابه: لستم تنصرون بكثرة، وإنما تنصرون من السماء، وكان يقول: إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن هم الدعاء، فإذا ألهمتم الدعاء، فإن الإجابة معه، فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة. (٤)

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٣٨) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٥٥)

(٢) رواه البخاري (٤٥٦٣)

(٣) رواه الترمذي (٢١٣٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢٧١)

(٤) الداء والدواء (ص: ١٧)

openkan.com

وهذه قصة من التاريخ: غزا محمد بن واسع مع قتيبة بن مسلم، فأصابتهم شدةٌ حتى خافوا الهلاك، فقال قتيبة: انظروا محمد بن واسع؛ فطلب فوجدوه في صحراء، قائماً على ركبتيه يدعو ويشير بأصبعه، فأُخبر قتيبة بذلك، فقال قتيبة: احملوا على القوم، فإن الله لا يضيع جيشاً فيهم محمد بن واسع؛ **فقال بعض رؤساء العسكر:** إنا لم نرَ عند هذا الرجل الذي طلبتَ كثيرَ قوةٍ، إنما كان يدعو ويشير بأصبعه؛ فقال: لأصبعه الذي أشار أحبّ إليَّ من ألف فارسٍ. (١)

السبب السادس: الاجتماع وعدم التفرق والتنازع

لا يخفى على أحد من الناس أهمية جمع كلمة المسلمين، وأن ذلك سبب في النصر على عدوهم، وقد أمر الله تعالى عباده بالاجتماع في آيات كثيرة، ودعاهم إلى الاعتصام بحبله المتين، وأخبر أن التفرق والتنازع سبب في حصول الفشل والهزيمة فقال سبحانه: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]

قال الشنقيطي: نهى الله جل وعلا المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن التنازع، مبينا أنه سبب الفشل، وذهاب القوة. (٢)

وقال تعالى: { وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } [الروم: ٣١، ٣٢]

فاللهم نصرك الذي وعدت

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٦/ ١٤٢)

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ١٠٢)

اسم الله الرزاق (١)

قاعدة في إثبات الأسماء الحسنى إثبات اسم الله الرزاق ومعناه
الفرق بين الرازق والرزاق معنى الرزق وأنواعه مقتضيات الإيمان باسم الله الرزاق

إن السعي في طلب الرزق همُّ الكثير من الناس، فالصغير ينشده والكبير يطلبه، وأكثر هموم الحياة وأحاديثها وأحداثها تدور في فلكه، والمؤمن الحاذق من يُفوّض أمرَ الرزق إلى الرازق، ونحن في أمس الحاجة في هذه الأزمان إلى معرفة الله تبارك وتعالى باسمه الرزَّاق، حتى تتعلق القلوب بالله وحده وتلهج الألسنة بدعائه، وتُرفع وتُمدُّ إليه الأيدي لا إلى غيره، فهو سبحانه الذي يرزق العباد ويقسم الأرزاق ويجزل العطايا ويمن بفضله على من يشاءُ من عباده، ولا تزيده كثرة الحاجات إلا جوداً وكرماً، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا يغلقُ بابه دون السائلين، لو اجتمع أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم وقاموا في صعيد واحد ثم سأَلوه فأعطى كلا منهم مسأَلته ما نقص ذلك مما عنده ذرة واحدة إلا كما ينقص المخيطُ البحرَ إذا غُمس فيه، يمينه ملأى لا تغيضها نفقة، سحاءَ الليل والنهار؛ أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يغض ما في يمينه؛ عطاؤه كلام ومنعه كلام: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرادَ شَيئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [يس: ٨٢]. (١)

قاعدة مهمة في إثبات الأسماء والصفات لله تعالى

عند إثبات أي اسم أو صفة لله تعالى لابد من أمور منها:

- لا نثبت لله اسما ولا صفة إلا ما وردَ في القرآن والسنة الصحيحة
- نُثْبِتُ إثباتا بلا تكييف ولا تمثيل، ونُنزِّهُ تنزيها بلا تحريف ولا تعطيل، كما قال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]

---

(١) ملفق من كلام ابن القيم

- بعد إثبات الاسم، يجب علينا أن نؤمن بالاسم، ونؤمن بما تضمنه من الصفة، ونؤمن بما تدل عليه هذه الصفة من الأثر والحكم؛ إن كان الاسم متعديا.

فمثلا: الرزاق نؤمن بأنه من أسماء الله تعالى، وأنه دال على صفة الرزق، وأن لهذه الصفة حكما وأثرا وهو أنه يرزق. (١)

المحور الأول: إثبات اسم الرزاق لله تعالى

من أسمائه سبحانه (الرزّاق) وهذا الاسم ثبت بكتاب الله كما في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات: ٥٨]

وثبت بالسنة أيضا، **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** ﷺ، قَالَ: غَلاَ السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غَلاَ السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ: « إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ، الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ ». (٢)

ووقع عند أبي داود وفي لفظ لأحمد **(الرَّازِق).**

- معنى اسم الله (الرزاق)

(الرزّاق) مبالغة من رازق للدلالة على الكثرة، فمعنى الرزاق الكثير الرزق لعباده الذي لا تنقطع عنهم أمداده وفواضله طرفة عين، ولا يُسمى غيره رازقا، كما لا يسمى غيره خالقا، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الروم: ٤٠]

---

(١) راجع القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٨٦)

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٥٦) وأبو داود (٣٤٥١) والترمذي (١٣١٤) وابن ماجه (٢٢٠٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٣٧٧)

فالأرزاق كلها بيد الله وحده، فهو خالق الأرزاق والمرتزقة وموصلها إليهم وخالق أسباب التمتع بها، فالواجب نسبتها إليه وحده وشكره عليها فهو موليها وواهبها. (١)

قال ابن جرير: الرزاق هو المتكفل بأقوات المخلوقات. (٢)

قال أبو سليمان الخطابي: الرزاق هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها؛ فليس يختص بذلك مؤمنًا دون كافر ولا ولياً دون عدو.

وقال الحليمي: هو الرزاق رزقا بعد رزق، المفيض على عباده ما لم يجعل لأبدانهم قِوَاما إلا به، والمنعم عليهم بإيصال حاجتهم مِن ذلك إليهم لئلا يُنَغِّص عليهم لذَّةَ الحياة بِتَأَخُّرِه عنهم. (٣)

قال ابن الأثير: هو الذي خلق الأرزاق وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم. (٤)

الفرق بين الرازق والرزاق

الرازقُ فيه معنى الرزق المطلق، فهو يفيد ثبوت صفة الرزق لله عز وجل أما الرزاق فتفيد التكثير، أنه يرزق رزقا بعد رزق. (٥)

من الأخطاء

من الأخطاء قول بعضهم: ((الرَّزاء))، وهو يقصد بذلك اسم الله ((الرزَّاق))، تبارك وتعالى، وهذا خطأ عظيم، إذ أن معنى ((الرزاء)) أي: الذي يأتي بالمصائب والبلايا، بخلاف الرزاق الذي يأتي بالرزق والخير. (١)

---

(١) شرح القصيدة النونية لهراس (٢/ ١١٠)

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥٥٦)

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٢)

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢١٩)

(٥) راجع الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٢)

-صفة الرزق من الصفات الثابتة لله تعالى

وأدلتها كثيرة جدا منها، قَول اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [البقرة: ٢١٢] وَقَالَ تَعَالَى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} [العنكبوت: ٦٠]

قال الشيخ هراس: الرزق كالخلق صفة من صفات الفعل، وهو شأن من شئون ربوبيته عز وجل، لا يصح أن ينسب إلى غيره، فالأرزاق كلها بيد الله وحده، فهو خالق الأرزاق والمرتزقة وموصلها إليهم وخالق أسباب التمتع بها، فالواجب نسبتها إليه وحده وشكره عليها فهو موليها وواهبها. (٢)

معنى الرزق

الرزق في اللغة: - بكسر الراء -: ما ينتفع به؛ وبفتحها: العطاء أو العطاء الجاري.

فالرِّزق: بالكسر مأخوذ من رَزَقَ، وهو: ما يُنتفع به، والجمع أرزاق. (٣)

هل يدخل الحرام تحت معنى الرزق؟

الرزق قد يكون من الحلال الذي لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون من الحرام، ولكنه يسمى رزقا بهذا الاعتبار الذي هو سوقه للأعضاء وهدايتها لامتصاصه والانتفاع به، فيصح أن يقال: رزقه الله بهذا الاعتبار سواء ارتزق من حلال أم من حرام. وهذا يقال له مطلق الرزق. (٤)

---

(١) النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأمين بن الحسن الأنصاري(ص: ٣٩)

(٢) شرح القصيدة النونية لهراس (٢/ ١١٠)

(٣) لسان العرب (١٠/ ١١٥) وتفسير القرطبي (١/ ١٧٨)

(٤) شرح القصيدة النونية لهراس (٢/ ١١٠)

obeikan.com

قال الخطابي: وكل ما وصل منه إليه من مباح وغير مباح فهو رزق الله، على معنى أنه قد جعله له قوتا ومعاشا، إلا أن الشيء إذا كان مأذونا له في تناوله فهو حلال حكما، وما كان منه غير مأذون له فيه فهو حرام حكما وجميع ذلك رزق. (١)

-أنواع الرزق

رِزقُ الله تعالى لعباده نوعان: رزق عام ورزق خاص، قال ابن القيم:

وكذلك الرزاقُ مِنْ أسمائه. . . والرزقُ مِن أفعاله نوعانِ
رزقٌ على يدِ عبدِه ورسولِه. . . نوعان أيضا ذانِ معروفانِ
رزقُ القلوب العلم والإيمان. . . والرزق المُعَدُّ لهذه الأبدانِ
هذا هو الرزقُ الحلال وربُّنا. . . رزَّاقُه والفضل للمنان
والثانِ سَوقُ القوتِ للأعضاء في. . . تلك المجاري سَوْقه بوِزان
هذا يكون مِن الحلال كما يكو. . . ن من الحرام كلاهما رِزقانِ
والله رازقُه بهذا الاعتبا. . . ر وليس بالإطلاق دون بيان(٢)

- النوع الأول: الرزق العام

وهو إيصال الباري لجميع خلقه، كلَّ ما يحتاجون إليه في معاشهم وقيامهم فيسهل لهم سبيل الأرزاق ويدبرها في أجسامهم ويسوق إلى كل عضو صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، فهذا عام للبر أو الفاجر، والمسلم والكافر بل للإنس والجن، والحيوانات كلها.

و هذا الرزق قد يكون من الحلال الذي لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون من الحرام، ولكنه يسمى رزقا بهذا الاعتبار الذي هو سوقه للأعضاء وهدايتها لامتصاصه والانتفاع به.

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٢)

(٢) نونية ابن القيم (ص: ٢١١)

- **وأما النوع الثاني: فهو الرزق الخاص**، وهو الرزق النافع الذي لا تبعة فيه، وهو موصل للعبد إلى أعلى الغايات، المستمر نفعه في الدنيا والآخرة وهو الذي يحصل على يد الرسول ﷺ وهو نوعان:

١ - أحدهما رزق القلوب بالعلم النافع والإيمان الصحيح وحقائق ذلك، فإن القلوب مفتقرةٌ غايةَ الافتقار إلى أن تكون عالمةً بالحق مريدة له متألهة لله، ثم التخلق بالأخلاق الجميلة، والتنزه عن الأخلاق الرذيلة، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها.

٢ - والثاني رِزقُ الأبدان بالرزق الحلال الذي لا تبعة فيه، وهو أن يغني الله عبدَه بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه، فإن الرزق الذي خص به المؤمنين والذين يسألونه منه شامل للأمرين. (١)

- **النوع الثالث: رزق الآخرة وهو أعظم الرزق**

أعظم رزق يرزقه الله عباده، وأحسنه وأكمله، وأفضله وأكرمه، وأعلاه وأدومه، الذي لا ينقطع ولا يزول، **هو الجنة**، وذلك الرزق خاص بالمؤمنين كما **قال سبحانه**: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا} [الطلاق: ١١].

وقال تعالى: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]

وقال تعالى: { وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [الحج: ٥٨]

- **المحور الثاني: مقتضيات الإيمان باسم الله الرزاق**

---

(١) راجع شرح القصيدة النونية لهراس (٢/ ١١١) وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ٢٠٤)

إذا أقرّ العبد وأيقن أن الله تعالى هو الرزاق استوجب ذلك أشياء مهمة تدل على صدق إيمانه بأن الله تعالى هو الرزاق منها:

أولا: أن يعتقد العبد أن الرزق بيد الله وحده لا شريك له

وهذا هو الحدّ الفاصل بين المؤمن الحق وبين من يدعي الإيمان، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } [فاطر: ٣]

قال ابن كثير: ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة. (١)

وقد أنكر الله على المشركين عبادتهم للأوثان والأصنام مع أنها لا تملك لهم رزقاً ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً. قال سبحانه {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ } [النحل: ٧٣]

قال السعدي: يخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم أنهم يعبدون من دونه آلهة اتخذوها شركاء لله، والحال أنهم لا يملكون لهم رزقا من السماوات والأرض، فلا ينزلون مطرا، ولا رزقا ولا ينبتون من نبات الأرض شيئا، ولا يملكون مثقال ذرة في السماوات والأرض ولا يستطيعون لو أرادوا، فإن غير المالك للشيء ربما كان له قوة واقتدار على ما ينفع من يتصل به، وهؤلاء لا يملكون ولا يقدرون. (٢)

وقال تعالى: { أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} [الملك: ٢١]

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٣٣)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٤٥)

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: أم من هذا الذي يطعمكم ويسقيكم، ويأتي بأقواتكم إن أمسك بكم رزقه الذي يرزقه عنكم. (١)

فلا مانع لما أعطى الله ولا مُعطي لما منع، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَالَ: « اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ ». (٢)

وما حُرِمه العبدُ من رزق فلا سبيل لتحصيله، ولا طريق للوصول إليه. . فهو له غير مكتوب، وفي لوحه غير محفوظ، **فقد كَانَ** ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ ». (٣)

قال النووي: الجد بالفتح هو الحظ والغنى والعظمة والسلطان، أي لا ينفع ذا الحظ في الدنيا بالمال والولد والعظمة والسلطان منك حظه، أي لا ينجيه حظه منك وإنما ينفعه وينجيه العمل الصالح كقوله تعالى {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ }. (٤)

ثانيا: أن يعتقد العبد ويوقن أن رزق الله لا حدود له ولا انقطاع له

فالله تبارك وتعالى هو الرزاق، الذي وسع الخلق كلهم برزقه ورحمته، فلم يخص

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥١٤)

(٢) رواه مسلم (٤٧٨)

(٣) رواه البخاري (٨٤٤) ومسلم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبة أنه كتب بذلك لمعاوية رضي الله عنهما.

(٤) شرح النووي على مسلم (٤/ ١٩٦)

بذلك مؤمناً دون كافر، ولا ولياً دون عدو، بل يسوق رزقه عزَّ وجلَّ إلى الضعيف الذي لا حيلة له، كما يسوقه إلى الجلد القوي ذي المرة السوي: {كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} [الإسراء: ٢٠].

وهو الرزاق سبحانه وتعالى الذي لا تنفد خزائنه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « يَدُ اللَّهِ مَلأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ ». (١)

بل لو سأله العباد جميعاً فأعطاهم لم ينقص ذلك من ملكه شيئاً، كما جاء في قوله تعالى في الحديث القدسي « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ». (٢)

فخزائن الله عزَّ وجلَّ مملوءة بكل شيء، ويعطي منها جميع الخلائق، فتعالى الله عما افتراه اليهود،

قال تعالى عنهم: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [آل عمران: ١٨١]

تعالى اللهُ وتقدس عن وصف اليهود حين وصفوه بالبخل والإمساك عن الإنفاق: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤]

ثالثا: الأرزاق محتومة معلومة، فالرزق يطلبُ العبدَ كما يطلبه الأجل

---

(١) رواه البخاري (٧٤١١) ومسلم (٩٩٣)

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر ﷺ

عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ». (١)

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ ». (٢)

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَى تَمْرَةً عَائِرَةً، فَأَعْطَاهَا سَائِلاً وَقَالَ: « لَوْ لَمْ تَأْتِهَا لَأَتَتْكَ ». (٣)

وعَنْ جَابِرِ بن عبد الله ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهْرُبُ مِنَ الْمَوْتِ لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ ». (٤)

فالرزق مقسوم لكل أحد من بر وفاجر، ومؤمن وكافر، كما قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا}[هود: ٦]

هذا مع ضعف كثير من الدواب وعجزها عن السعي في طلب الرزق، قال تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [العنكبوت: ٦]

قال ابن كثير: أي: الله يقيض لها رزقها على ضعفها، ويُيَسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في الماء. (٥)

---

(١) رواه البخاري (٣٣٣٢) ومسلم (٢٦٤٣)

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢٦٤) وابن حبان (٣٢٣٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٣٦)

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢٦٥) وابن حبان (٣٢٤٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٣٦) والْعَائِرَة: هِيَ السَّاقِطَة عَلَى وَجْه الْأَرْض، وَلَا يُعْرَف مِنْ صَاحِبهَا.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٩٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٢٩)

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٢)

obeikan.com

فما دام العبد حيا، فرزقه على الله، وقد ييسره الله له بكسب وبغير كسب، فلا تكونوا بالمضمون مهتمين، فتكونوا للضامن متهمين، وبرزقه غير راضين. (١)

رابعا: ومن مقتضيات الإيمان باسم الله الرزاق: الرضا بما قسمه الله لعبده من الرزق

فالله حكيم عليم، وأرزاق العباد كلهم بيده، يجعل من يشاء غنياً، ويجعل من يشاء فقيراً، وله في ذلك حكمة بالغة، وهو سبحانه الخبير بمن يستحق الغنى، ومن يستحق الفقر: {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا } [الإسراء: ٣٠].

ومن الناس من لا تصلح حاله إلا بالغنى، فإن أصابه الفقر فسدت حالُه، ومن الناس من لا تصلح حاله إلا بالفقر، فإن أصابه الغنى فسدت حاله، ولا يعلم ذلك إلا الله: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ } [الشورى: ٢٧]. (٢)

وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا } [الإسراء: ٣٠]

قال ابن كثير: هذا إخبار أنه تعالى هو الرزاق، القابض الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيغني من يشاء، ويفقر من يشاء، بما له في ذلك من الحكمة؛ ولهذا قال: {إنه كان بعباده خبيرا بصيرا} أي: خبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر، فمن عباد الله من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغناه الله لفسد عليه دينه، وإن من عباد الله لمن لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقره الله لفسد عليه دينه. (٣)

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٠٨)

(٢) موسوعة فقه القلوب للتويجري (١/ ١٧٧)

(٣) تفسير ابن كثير(٥/ ٧١)

obeikan.com

وليوقن العبد أنَّ منْعَ الله لطفٌ به وليس بخلا، قال شيبان الراعي لسفيان الثوري: يا سفيان! عُدَّ منْعَ الله إياك عطاءً منه لك؛ فإنه لم يمنعك بخلاً، إنما منعك لطفًا. (١)

قال تعالى: { وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} [الشورى: ٢٧]

قال ابن كثير: أي: لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق، لحمَلَهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض، أشرا وبطرا، ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم، وهو أعلم بذلك فيُغني مَن يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر. (٢)

فعلى المسلم أن يقنع بما ساقه له ربه من الرزق فإن ذلك سبب فلاحه، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ ». (٣)

قال عمر بن عبد العزيز: بين العبد وبين رزقه حجاب، فإن قنع ورضيت نفسه، آتاه الله رزقه، وإن اقتحم وهتك الحجاب، لم يزد فوق رزقه. (٤)

قال عبد الله بن مسعود: من اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمدن أحدا على رزق الله، ولا تلومن أحدا على ما لم يؤتك الله فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره. (٥)

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٣٢٩)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٢٠٦)

(٣) رواه مسلم (١٠٥٤)

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٠٢)

(٥) الزهد لهناد بن السري (١/ ٣٠٤)

ومن نظر إلى مَن دونه في الدنيا امتلأ قلبه غنى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ». (١)

ثم ليعلم العبد أن التسخط والجزع لا يجلب رزقًا ولا يدفع ضرًا، بل يزيد العبد من ربه نفورًا، ولنعمه جحودًا، **فمن ضعف اليقين أن يقول المرء:** فلان حرمني، أو فلان سبب في منعي من ذلك، أو نحو هذا.

قال عبادة بن الصامت لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ». (٢)

خامسا: من مقتضيا الإيمان باسم الله الرزاق: السعي في طلب الرزق

فمن مقتضيا ت الإيمان باسم الله الرزاق، أن يسعى العبد للحصول على رزقه الديني والدنيوي، لأن الله تعالى ربط الأسباب بمسبباتها، وإن كان سبحانه قد كتب الأرزاق وقدرها، ولكنه أمرنا بالسعي، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: ١٥]

وأمرنا بالانتشار في الأرض بعد الصلاة لابتغاء الرزق، فقال تعالى: { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [الجمعة: ١٠] فمن ترك السعي اعتمادا فإنه مخالف لما قضاه الله تعالى قدرا وشرعا.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٦٣)

(٢) رواه أبو داود (٤٧٠٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ص: ٢)

وأعرف الخلق بالله الأنبياء عليهم السلام، فقد كانوا يأخذون بالأسباب ويطلبون رزقهم، عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ ». (١)

قال ابن عباس ﷺ: كان آدم عليه السلام حراثاً، ونوح نجاراً، وإدريس خياطاً، وإبراهيم ولوط زرَّاعين، وصالح تاجراً، وداود زراداً، وموسى وشعيب ومحمد صلوات الله عليهم رعاة. (٢)

قال عمر بن الخطاب ﷺ: لأن أموت بين شِعبتي جبل، أطلبُ كفاف وجهي؛ أحبُّ إليَّ من أن أموت غازيًا في سبيل الله. (٣)

وسئل الإمام أحمد عن رجل جلس في بيته أو في المسجد وقال: لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي! فقال: هذا رجلٌ جَهِلَ العلمَ فقد قال النبي ﷺ « إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي ». (٤) وقال « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ». فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق. قال: وكان الصحابة يتَّجِرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم، والقدوةُ بهم. (٥)

سادسا: أن يوقن العبد أن العطاء ليس علامة الرضا ولا المنع علامة السخط

كثرة الرزق في الدنيا كقلة الرزق لا تدل على محبة الله تعالى للعبد ورضاه عنه، فالله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب: {وَقَالُوا نَحْنُ

---

(١) رواه البخاري (٢٢٦٢)

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٨٢)

(٣) صيد الخاطر (ص: ١٦٦)

(٤) رواه أحمد (٢/ ٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٤٦)

(٥) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠٦)

أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ } [سبأ: ٣٥ - ٣٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ». (١)

وقال تعالى: { فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ } [الفجر: ١٥، ١٦]

قال ابن القيم: أي ليس كل مَنْ نَعَّمْتُه ووسعت عليه رزقه أكون قد أكرمته، وليس كل من ابتليته وضيقت عليه رزقه أكون قد أهنته، بل أبتلي هذا بالنعم، وأكرم هذا بالابتلاء. (٢)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاَقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ (الإيمان) إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ ». (٣)

قال ابن القيم: وليست سعة الرزق والعمل بكثرته، ولا طول العمر بكثرة الشهور والأعوام، ولكن سعة الرزق وطول العمر بالبركة فيه. (١)

---

(١) مسلم (٢٥٦٤)

(٢) الداء والدواء (ص: ٣٥)

(٣) رواه أحمد (١/ ٣٨٧) والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٥) وغيرهما، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٤٨٢)

بل ربما يكون العطاء استدراجا من الله للعبد، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: « إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ من الدنيا مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}». (٢)

قال ابن كثير: قد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجا، والفقر عقوبة عياذا بالله من هذا وهذا. (٣)

سابعا: أن لا يستعجل الرزق فيطلبه من غير حله

إذا أيقن الإنسان أن الله هو الرزاق؛ لم يطلب الرزق بما حرَّمه الله، فقد جاء في حديث **أَبِي أُمَامَةَ** ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمَ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ فَإِنَّهُ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَ الله إِلاَّ بِطَاعَتِهِ ». (٤)

فالرزق أمر كتبه الله تعالى وقدره، قبل أن يخلق السموات والأرض، فلا يحملنك استبطاء الرزق أن تطلبه بمعصية الله، ولا تبرر لنفسك بهذه الكلمات: أريد أن آكل عيشًا! و: أريد أن أربي أولادي! مبررًا بذلك ارتكاب الحرام! وليس هذا بعلة ولا عذر في ارتكاب المعاصي والذنوب.

---

(١) الداء والدواء (ص: ٨٤)

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٤٥) والطبراني (٩١٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٧٧٤)

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٧١)

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٢٧) وله شاهد من حديث ابن مسعود وجابر وحذيفة وغيرهم ﷺ، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: أقل أحواله أن يكون حسنا (٦/ ٨٦٦)

وصية نبي الله نوح عليه السلام لولده (١)
((الزم التوحيد والذكر))

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ لابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنِّي مُوصِيكَ، فَقَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ باثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، لقَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأُوصِيكَ بِسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلاَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ** »، **فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ الشِّرك قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: « أَنْ تُسَفِّهَ الْحَقَّ، وَتَغْمَصَ النَّاسَ ».** (١)

أهمية هذه الوصية:

- **مما يبرز لنا أهمية هذه الوصية**، أنها وصية نبي ورسول من أولي العزم، والرسل هم أنصح الناس للناس وأحرصهم على نجاة الخلق، وأبصرهم بما يرضي الحق جل جلاله

- ولأنها وصية والد شفيق لولده؛ وحرص الوالد على ولده مركوز في الفِطر والنفوس

- ولأنها وصية مودع للدنيا فيجمع فيها الموصِي لمن يوصيه الخير الذي يعلمه بحذافيره.

- ولأنها جمعت بين أعظم الأوامر وهو توحيد الله وتنزيهه، وبين أعظم النواهي وهو الشرك وقرينُة الكبْر.

لذلك كان حقيقا بنا أن نقف مع هذه الوصية الغالية وقفات نقتبس منها الدروس ونلتمس العبر.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٧٠) والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٨) والطبراني (١٣٦٥٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٥٩)

الوصية الأولى: الوصية بلا إله إلا الله

وذلك في قوله: « آمُرُكَ بِلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ». يعني آمرك بالتمسك بلا إله إلا الله، وذلك يقتضي معرفة معناها والعمل بمقتضاها إلى أن يلقى الله تعالى عليها.

لماذا أوصى نوح ولده بلا إله إلا الله؟

لأنها الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خُلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟. فجواب الأولى بتحقيق " لا إله إلا الله " معرفة وإقرارا وعملا. **وجواب الثانية** بتحقيق " أن محمدا رسول الله " معرفة وإقرارا وانقيادا وطاعة. (١)

وقال سفيان بن عيينةَ: ما أنعمَ اللَّهُ على عبدٍ من العبادِ نعمةً أعظمُ من أن عرَّفهم "لا إلهَ إلا اللَّهُ. (٢)

ولو أردتُ أن أسرد الأحاديث التي وردت في فضلها لضاق المقام جدا، ولاحتجنا إلى سِفْرٍ كبير، ولكن الإشارة تكفي اللبيب.

- لا يثقل مع اسم الله شيء

---

(١) زاد المعاد (١/ ٣٦)

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٢٧٤)

وبيان ذلك في قوله: « لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ». فالسماوات السبع على اتساعها وعظيم سمكها وثقلها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار، والأرضون السبع على اتساعها وعظيم حجمها، وكثرة جبالها وبحارها وقفارها، إلا أنهما لو وضعن في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله.

الله أكبر: أي ثِقَلٍ لهذه الكلمة وأيُّ حَجمٍ لهذه الكلمة حتى ترجح بهذه المخلوقات العظيمة، ولكنها تستوجب من قائلها علما بمعناها وعملا بمقتضاها ظاهرا وباطنا، **حتى يكون لها هذا الثِّقل وهذا الوزن، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو** ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ ». (١)

قال ابن تيمية: وليس كلُّ مَن تكلَّم بالشهادتين كان بهذه المنزلة لأن هذا العبد – صاحب البطاقة – كان في قلبه من التوحيد واليقين والإخلاص ما أوجب أن عَظُمَ قدرُه حتى صار راجحا على هذه السيئات؛ ومن أجل ذلك صار المُدُّ مِن الصحابة

(١) رواه أحمد (٢/ ٢١٣) والترمذي (٢٦٣٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٦٢)

ﷺ أفضلَ مِن مثل جبل أُحدٍ ذهبا مِن غيرهم. (١)

قال ابن القيم: الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، وتأمل حديث البطاقة. . . . . ومعلوم أن كلَّ مُوَحِدٍ له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكنَّ السرَّ الذي ثقَّل بطاقة ذلك الرجل، هذا الإكسير الكيماوي (المادة الفعالة)، الذي إذا وُضع منه مثقال ذرة على قناطير من نحاس الأعمال قَلَبَها ذهبا. (٢)

وإذا أردت أن تعرف أثر هذه المادة الفعالة في الأعمال فتأمل حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ». (٣)

وتأمل ما قاله أبو بكر بن عياش: ما سبقهم أبو بكر الصديق ﷺ بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في قلبه.

قال ابن تيمية: والذي وقَرَ في قلب أبي بكر هو اليقين والإيمان؛ وهكذا سائر الصحابة حصل لهم بصحبتهم للرسول، مؤمنين به مجاهدين معه، إيمان ويقين لم يشركهم فيه من بعدهم. (٤)

من لي بمثل سيرك المدلل. . . تمشي رويدا وتجي في الأول. (٥)

- قوة كلمة التوحيد

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية (ص: ٢٦١)

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٤٠)

(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٧٩) والنسائي (٥/ ٥٩) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٥٢٨)

(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٨٥) ومنهاج السنة النبوية (٦/ ٢٢٣)

(٥) مدارج السالكين (٣/ ١٣٨)

obeikan.com

وبيان ذلك في قوله: « لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كَانَتْ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ». (١)

تأمل قوة هذه الكلمة فلو فرضنا أن السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن كنَّ حلْقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله، لكن تحتاج إلى إخلاص وصدق ويقين في قولها، وانظر إلى القوة الحسية لكلمة التوحيد إذا قالها الموقن المخلص فيها ولها، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟ » قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي (إِسْحَاقَ)(٢)، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ ». (٣)

فتأمل واستشعر مدى قوة هذه الكلمة التي دُكت بها الحصون المنيعة، من غير ضربٍ بسيف ولا رَمْيٍ برمح ولا قذفٍ بمدفع، فهي – والله – أقوى مما ذُكر بكثير؛ لكن لو خرجت من قلب موقن بها.

---

(١) معنى حلقة مبهمة: مغلقة إغلاقا محكما غير معلومة المدخل والطرف؛ ومعنى: قَصَمَتْهُنَّ: قال ابن الأثير: القَصْم: كَسْر الشَّيْءِ وإبانَته، حتى يَنْفَصِلَ بَعضُه مِنْ بَعضٍ. النهاية في غريب الحديث (٤/ ٧٤)

(٢) قال القاضي عياض: كذا هو في جميع أصول صحيح مسلم من بني إسحاق قال: وقال بعضهم المعروف المحفوظ (من بني إسماعيل) وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه لأنه إنما أراد العرب وهذه المدينة هي القسطنطينية. شرح النووي على مسلم (١٨/ ٤٣)

(٣) رواه مسلم (٢٩٢٠)

- **وقال الله تعالى** عن نبيه يونس عليه لما كان في ظلمات بطن الحوت وظلمات البحر وظلمات الليل: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)} [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

فانظر كيف اخترقت هذه الكلمة كل هذه الحجب والموانع وصعدت لتشفع لقائلها عند الله فيأتيه الفرج سريعا، لذلك أمرنا بها نبينا ﷺ إذا اشتدت الأمور وادلهمت الخطوب، **عن سعد بن أبي وقاص** رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ أَوْ بَلَاءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا دَعَا رَبَّهُ فَفَرَّجَ عَنْهُ؟ » قَالَ: فَقَالُوا: بَلَى، قَالَ: « دُعَاءُ ذِي النُّونِ، قَالَ: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}». (١)

الوصية الثانية: الوصية بسبحان الله وبحمده

قال « أُوصِيكَ بِسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ » وأصل التسبيح: التنزيه والتقديس والتبرية من النقائص، سبحتُه تسبيحا وسبحانا، **ومعنى سبحان الله:** تنزيهه عن كل ما لا يليق بجنابه العلي، وهو مصدر لفعل مُقَدَّر: أي أبريء الله من كل سوء براءة. **والواو** في « وبحمده » تحتمل أن تكون:

١- للحال، والتقدير: أسبح الله تعالى تسبيحاً وأنا متلبسٌ بحمده.

٢- ويحتمل أن تكون للعطف، والتقدير: أسبح الله تعالى تسبيحاً وأتلبسُ بحمده.

٣- ويحتمل أن تكون زائدة والتقدير: أسبح الله تعالى تسبيحاً مقروناً بحمده. (٢)

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٧٠) وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (ص: ٤٨) واللفظ له، والحاكم (١/ ٦٨٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٢٥)

(٢) راجع عون المعبود (١/ ٢٣١) وحاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/ ٤٢٣)

لماذا قرن التسبيح بالتحميد؟

قال ابن تيمية: لأن التسبيح يتضمن نفي النقائص والعيوب، والتحميد يتضمن إثبات صفات الكمال التي يحمد عليها. (١)

والمعنى: أي أنزّه الله عن جميع النقائص مع إثباتي له جميع الكمالات.

لماذا كانت الوصية بـ «سبحان الله وبحمده »؟

ذكر نوح عليه السلام لولده سببين لذلك فقال « فَإِنَّهَا صَلاَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ »

- السبب الأول: سبحان الله وبحمده صلاة كل شيء

فكل شيء في هذا الكون الفسيح يصلي ويسجد لله ويسبح بحمد الله على الهيئة التي يعلمها الله

قال ابن تيمية رحمه الله: عند كلامه على قول الله تعالى { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلاَلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [الرعد: ١٥] ومعلومٌ أنَّ سجودَ كلِّ شيء بحسَبِه ليس سجود هذه المخلوقات وضع جباهها على الأرض. . . فالسجود اسم جنس، وهو كمال الخضوع لله. (٢)

والصلاة إنما سميت تسبيحا لاشتمالها على التسبيح. . . فالمصلي إذا حمد ربه في القيام أو في القيام والقعود وسبح في الركوع والسجود؛ فقد جمع التسبيح والحمد فسبح بحمد ربه فالصلاة تسبيح بحمد ربه. (٣)

وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} [النور: ٤١]

---

(١) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص: ٣١)

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/ ٣٥٤)

(٣) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص: ٥٥ - ٥٦) باختصار

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه يسبحه من في السموات والأرض، أي: من الملائكة والأناسي، والجان والحيوان، حتى الجماد، كما قال تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء: ٤٤]

وقوله: {والطير صافات} أي: في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح ألهمها وأرشدها إليه، وهو يعلمُ ما هي فاعلة؛ ولهذا قال: {كل قد علم صلاته وتسبيحه} أي: كلٌ قد أرشده إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله، عز وجل.(١)

- السبب الثاني: أن سبحان الله وبحمده من أعظم أسباب الرزق

لأن الرزق بيد الله تعالى وحده، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته وسبحان الله وبحمده من أعظم الطاعات وأجل القربات، **عَنْ أَبِي أُمَامَةَ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِيَ أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلْكُمَ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ فَإِنَّهُ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَ الله إِلاَّ بِطَاعَتِهِ ».(٢)

وهذا الحديث غصة في حلوق الذين يستعجلون الرزق بمعصية الله وما ذلك إلا بسبب جهلهم وسوء ظنهم بربهم الذي تكفل برزق كل المخلوقات صغيرها وكبيرها قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هود: ٦]

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٧٢)

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٢٧) وله شاهد من حديث ابن مسعود وجابر وحذيفة وغيرهم رضي الله عنهم، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: أقل أحواله أن يكون حسنا (٦/ ٨٦٦)

وقال تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } العنكبوت: ٦٠] فالرزق بيد الله تعالى ولا ينال إلا بطاعته، بل إن العبد ليحرم الرزق بسبب ذنوبه

- وتأمل حال الطير التي لا تحمل رزقها ولا تخزن شيئا في أعشاشها، لا تخرج لطلب الرزق في الصباح إلا بعدما تبدأ يومها بذكر الله والتسبيح لذلك لا ترجع إلا ممتلئة البطون، عن عُمرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا ». (١)

قال ابن رجب: هذا الحديث أصل في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق، **قال الله عز وجل:** {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢، ٣] ولو أن الناس حققوا التوكل على الله بقلوبهم، لساق إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو نوع من الطلب والسعي، لكنه سعي يسير. (٢)

وذكر ابن القيم ضمن فوائد الذكر أنه يجلب الرزق. (٣)

ولا تنحصر فضائل « سبحان الله وبحمده » فيما ذُكر وإليك بعض ما ورد من الأحاديث في بيان فضلها:

- بعض فضائل سبحان الله وبحمده

- أحب الكلام إلى الله، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ؟ » قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ، فَقَالَ: « إِنَّ

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٠) والترمذي (٢٣٤٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٦٢٠)

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٩٦ - ٥٠٢) باختصار

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤١)

أَحَبَّ الْكَلاَمِ إِلَى اللهِ: مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلاَئِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ». (١)

- **أحب إلى الله من إنفاق الذهب والفضة، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ** ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ هَالَهُ اللَّيْلُ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَبَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَجَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُقَاتِلَهُ، فَلْيُكْثِرْ أَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ جَبَلِ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ يُنْفَقَانِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ». (٢)

- **سبب لمغفرة الذنوب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ ». (٣)

- **سبب لمحبة الرحمن وتثقيل الميزان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ». (٤)

- **أهلها أهل السبق وعلو الدرجات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ ». (٥)

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣١)

(٢) رواه الطبراني (٧٧٩٥) وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (ص: ٥٧) وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٢٨)

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٥) ومسلم (٢٦٩١)

(٤) رواه البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤)

(٥) رواه مسلم (٢٦٩٢)

- **قاعدة: قوة تأثير « سبحان الله وبحمده » وكثرة ثوابها متوقفة على مواطأة القلب للسان حال الذكر؛ قال ابن القيم**: كلُّ قولٍ رَتَبَ الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام. . . وليس هذا مرتبا على مجرد قول اللسان. (١)

وقال رحمه الله **أيضا**: وأفضل الذّكر وأنفعُه ما وَاطَأَ فِيهِ القلبُ اللِّسَانَ وكان مِن الأَذكار النَّبويّة وشهد الذاكرُ مَعَانِيه ومقاصدَه. (٢) وهذه من القواعد المفيدة جدا لكي تحصل لنا ثمرات الذكر

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤٠)

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ١٩٢)

obeikan.com

حرمة الدماء في الشريعة الإسلامية

من الأسس العظيمة التي قامت عليها الشريعة الإسلامية تحقيق مصالح العباد في دنياهم وأخراهم، ومن أعظم صور حفظ مصالح العباد في هذه الشريعة الغراء مراعاة الضروريات الخمس التي أوصت الشريعة بالحفاظ عليها ورعايتها وهى: حفظ الدين، والنفس، والعرض، والمال، والنسل، ويتفرع عن حفظ النفس حفظ الدماء من أن تهدر وتسفك بغير حق.

قال ابن تيمية: من استقرأ الشريعة في مواردها ومصادرها واشتمالها على مصالح العباد في المبدأ والمعاد تبين له من ذلك ما يهديه الله إليه. (١)

كثرة القتل آخر الزمان

وبما إننا نعيش في زمان قد تلاطمت فيه أمواج الفتن التي تحير فيها أصحابُ العقول والفِطَن، فتنٌ تدع الحليم حيرانَ؛ ومن أعظم تلك الفتن ضرراً وأشدها على الناس وقعاً وخطراً سفك الدم الحرام بغير حق، فإنها من أعظم البلايا وأطمِّ الرزايا، خاصةً وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ أنه **ستأتي فتن في آخر الزمان يكثر فيها القتل ويُستهان بأمر الدماء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ » قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « الْقَتْلُ الْقَتْلُ ». (٢)

بل يكثر القتل حتى لا يدري القاتل فيما قَتل ولا المقتول فيما قُتل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ**

---

(١) مجموع الفتاوى (٢١/ ٥٢٨)

(٢) رواه مسلم (١٥٧)

شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ». (١)

ولك أن تتصور فظاعة الأمر وهوله، فيتمادى الناس في القتل حتى يقتل الرجل جاره وأقاربه وأرحامه، **عن أَبِي مُوسَى الأشعري** رضي الله عنه، **قَالَ:** حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَهَرْجًا »، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: « الْقَتْلُ »، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ »، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَعَنَا عُقُولُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا، تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ لَا عُقُولَ لَهُمْ ». (٢)

بل لك أن تتخيل شدة البلاء وكثرة الفتن والهرج، حتى يصل الأمر بالرجل العاقل المتمسك بدينه أنه ليمر على القبر ويتمنى أن يكون مكان صاحبه، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ ». (٣)

وقد حدث ما أخبر به النبي ﷺ من كثرة القتل والتساهل فيه حتى إنك لا تدري علام يقتتل الناس، وربما قاتل بعضهم بعضاً على أمور يسيرة ولكن الشيطان لم يتركهم حتى أوقعهم في سفك الدماء، **كما في حديث جَابِرٍ** رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠٨)

(٢) رواه ابن ماجه (٣٩٥٩) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٨/ ٤٥٩)

(٣) رواه البخاري (٧١١٥) ومسلم (١٥٧) واللفظ له

الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ ». (١)

قال النووي: هذا الحديث من معجزات النبوة، ومعناه أن الشيطان أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها. (٢)

وسفك الدماء والقتال بين أبناء الأمة – أمة الإسلام – أمرٌ قدري قدَّره الله على هذه الأمة، عن **جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ** رضي الله عنهما، قال: لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: {قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ}، قَالَ: « أَعُوذُ بِوَجْهِكَ »، {أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} قَالَ: « أَعُوذُ بِوَجْهِكَ »، فَلَمَّا نَزَلَتْ: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} قَالَ: « هَاتَانِ أَهْوَنُ، – أَوْ أَيْسَرُ – ». (٣)

وعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَلَا أُهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلَا أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا – أَوْ قَالَ بِأَقْطَارِهَا – حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَحَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ». (٤)

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٢)

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٥٦)

(٣) رواه البخاري (٧٣١٣)

(٤) رواه مسلم (٢٨٨٩) وأبو داود (٤٢٥٢) واللفظ له

وعن سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: « سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا ». (١)

ومن المطلوب شرعا وعقلا أن يُدفع هذا الأمر القدري بالأمر الشرعي، ومن هنا كان لابد من بيان شدة حرمة الدماء المعصومة وتحذير المسلمين من التساهل في الدماء وبيان عاقبة من تعدى على الدماء عامةً بغير حق، واللهَ أسأل الهداية والسداد والتوفيق

مظاهر حفظ الشريعة الإسلامية لدماء المسلمين وغيرهم من المعاهدين وأهل الذمة

جاءت الشرائع السماوية كلها، شريعة بعد شريعة، تعظم إراقة دماء البشر، وتحذر من اعتداء الإنسان على أخيه الإنسان بغير حق، وتغلظ حرمة الدماء، أما الشريعة الإسلامية فقد نحَتْ عدة مناحي ووضعت عدة سياجات منيعة للحيلولة دون إراقة قطرة دماء بغير وجه حق، ويتضح ذلك من خلال عرضٍ لبعض مسالك الشريعة لحفظ الدماء من أن تسفك بغير حق:

المسلك الأول: الشريعة الإسلامية تعظم شأن الدماء

قال نجم الدين ابن عبد القوي: الأصل في الدماء العصمة عقلا وشرعا، أما عقلا فلأن في القتل إفساد الصورة الإنسانية المخلوقة في أحسن تقويم، والعقل ينكر ذلك، وأما شرعا فلقوله عزَّ وجلَّ {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلا بِالْحَقِّ} [الإسراء: ٣٣]. (٢)

- ومما يبين عظم شأن الدماء: أنها أول ما يقضى فيه بين العباد يوم القيامة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ ». (٣)

---

(١) رواه مسلم (٢٨٩٠)

(٢) التعيين في شرح الأربعين (١/ ١٢٦)

(٣) رواه البخاري (٦٨٦٤)

قال ابن حجر: في الحديث عظم أمر القتل لأن الابتداء إنما يقع بالأهم. ولا يعارض هذا حديث أبي هريرة « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته » لأن الأول محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق والثاني فيما يتعلق بعبادة الخالق. (١)

قال الصنعاني: فيه دليل على عظم شأن دم الإنسان، فإنه يقدم في القضاء إلا الأهم. (٢)

- اعتبرت الشريعة قتل نفس واحدة ظلما، كقتل الناس جميعا

وهذا من أعظم سُبل ووسائل حفظ الدماء، قال تعالى بعد سياق قصة ابني آدم {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا } [المائدة: **٣٢**]

قال ابن حجر الهيتمي: جُعِلَ قتلُ النفس الواحدة كقتل جميع الناس مبالغة في تعظيم أمر القتل الظلم وتفخيما لشأنه: أي كما أن قتل جميع الناس أمر عظيم القبح عند كل أحد فكذلك قتل الواحد يجب أن يكون كذلك، فالمراد مشاركتهما في أصل الاستعظام لا في قدره، إذ تشبيه أحد النظيرين بالآخر لا يقتضي مساواتهما من كل الوجوه. (٣)

لذلك كان على ابن آدم الأول كفلٌ من كل دمٍ يهراق بغير حق لأنه أول من سنَّ القتل، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ ». (٤)

---

(١) فتح الباري لابن حجر فتح (١٢/ ١٨٩) و (١١/ ٣٩٦)

(٢) سبل السلام (٢/ ٣٣٧)

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ١٤٤)

(٤) رواه البخاري (٣٣٣٥) ومسلم (١٦٧٧)

قال أبو العباس القرطبي: يدخل فيه بحكم عمومه نفس الذمِّي، والمعاهد إذا قُتلا ظلمًا؛ لأنَّ (نفسًا) نكرة في سياق النفي، فهي للعموم. **وقوله: ((لأنَّه أول من سنَّ القتل))**؛ نصٌّ على تعليل ذلك الأمر؛ لأنَّه لما كان أول من قتل كان قتله ذلك تنبيهًا لمن أتى بعده، وتعليمًا له. فمن قتل كأنَّه اقتدى به في ذلك، فكان عليه مِن وزره. وهذا جارٍ في الخير والشَّرِّ. (١)

- ومما يوضح ويبين عظيم شأن الدماء في الشريعة الإسلامية: أن الشريعة حرمت التعدي على دماء غير المسلمين بغير حق:

من عظمة الشريعة الإسلامية أن حرمة الدماء ليست قاصرة على المسلمين فحسب بل تشمل كذلك غير المسلمين من المعاهدين والذميين والمستأمنين حرم الإسلام الاعتداء عليهم وذلك في أحاديث كثيرة من سنة النبي ﷺ منها: **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو** رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا ». (٢)

قال ابن حجر: المراد به من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم. (٣)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « أَلَا مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَقَدْ أَخْفَرَ بِذِمَّةِ اللَّهِ، فَلاَ يُرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ». (١)

---

(١) المفهم (١٥/ ١٢١)

(٢) رواه البخاري (٣١٦٦)

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٥٩)

قال ابن القيم: هذه عقوبةُ قاتلِ عدوِّ اللهِ إذا كان في عهْدِه وأمانِهِ، فكيف عقوبةُ قاتلِ عبدِه المؤمن؟. (٢)

المسلك الثاني: الشريعة الإسلامية تمنع كل وسيلة تؤدي إلى سفك الدماء بغير حق

- توعد الشارع بالنار على مجرد الحرص على قتل المسلم بغير حق وإن لم يقع ذلك

عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ (يعني عليا)، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: ارْجِعْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ » قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: « إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ ». (٣)

قال الإمام أبو سليمان: هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل إنما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة أو علو. (٤)

- لا يحل للمسلم أن يُروّع أخاه فما بالك بسفك دمه؟

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا ». (٥)

- حرّم الشرع على المسلم مجرد الإشارة بحديدة لأخيه المسلم

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ». (١)

---

(١) رواه الترمذي (١٤٠٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٤٧١)

(٢) الداء والدواء (ص: ١٥٠)

(٣) رواه البخاري (٦٨٧٥)

(٤) الكبائر للذهبي (ص: ١٣)

(٥) رواه أحمد (٥/ ٣٦٢) وأبو داود (٥٠٠٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢٦٨)

قال ابن العربي: إذا استحق الذي يشير بالحديدة اللعن فكيف الذي يصيب بها؟.

- نهى الشرع أن يشهر المسلم سلاحه على المسلمين

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا ». (٢)

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا ». (٣)

قال ابن دقيق العيد: فيه دلالة على تحريم قتال المسلمين والتشديد فيه.

المسك الثالث: التنفير عن سفك الدماء بكل طريق

- بيَّنت الشريعة أن التعدي على الدماء بغير حق من أفعال الكفار

عن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ». (٤)

قال النووي: قيل في معناه سبعة أقوال أظهرها الرابع وهو: أنه فعل كفعل الكفار، وهو اختيار القاضي عياض. (٥)

- قتال المسلم نوع من الكفر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ ». (٦)

- سفك الدماء واستحلالها شعار الخوارج، وهي أول بدعة حدثت في الإسلام

---

(١) رواه البخاري (٧٠٧٢) ومسلم (٢٦١٧)

(٢) رواه البخاري (٦٨٧٤)

(٣) رواه البخاري (٧٠٧١)

(٤) رواه البخاري (٦٨٦٥)

(٥) شرح النووي على مسلم (٢/ ٥٥)

(٦) رواه البخاري (٤٨) ومسلم (٦٤)

obeikan.com

أوَّل الفِتن ظهورًا كانت في عهدِ الصحابة ﷺ حيث خرج أُناسٌ كفَّروا أهلَ الإسلام من الصحابةِ والتابعين لهم بإحسان، فقاتلوهم وسفَكوا دِمائهم، وقد طلَّت هذه الفتنة برأسها في عهد النبي ﷺ، **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** ﷺ، قَالَ: أن عليا ﷺ جاء بمال من اليمن فقسمه النبي ﷺ بين المؤلفة قلوبهم. . . . . قال: فَجَاءَ رَجُلٌ - وذكر صفَتَه -: فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ، يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: : « وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ » قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: « لَا، إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ، أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ ». (١)

قال ابن تيمية: وأول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج والشيعة حدثتا في أثناء خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. (٢)

- حرمة دم المسلم أعظم عند الله من حرمة البيت الحرام والشهر الحرام واليوم الحرام

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: « مَرْحَبًا بِكِ مِنْ بَيْتٍ مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَلَلْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ، إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مِنْكِ وَاحِدَةً وَحَرَّمَ مِنَ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثًا: دَمَهُ، وَمَالَهُ، وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ ». (٣)

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤)

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٧٩)

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٩/ ٧٦) ورواه ابن ماجة (٣٩٣٢) من حديث ابن عمر ﷺ، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٣٠)

قال ابن تيمية: الأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض لا تحلّ إلا بإذن الله ورسوله. (١)

المسلك الرابع: التحذير الشديد والوعيد الأكيد لمن تعدي على الدماء أو تهاون في إراقتها بغير حق

- جمع الله أشد أنواع الوعيد في آية القتل العمد، قال تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء: **٩٣**]

قال ابن كثير: هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله، حيث يقول، سبحانه. (٢)

- سفك الدماء بغير حق من الكبائر المهلكات

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الكَبَائِرِ، قَالَ: « الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ». (٣)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ »، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: « الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ ». (٤)

- سفك الدماء بغير حق سبب للتضييق على العبد في الدين والدنيا

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٣)

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٦)

(٣) رواه البخاري (٢٦٥٣) ومسلم (٨٨)

(٤) رواه البخاري (٢٧٦٦) ومسلم (٨٩)

obeikan.com

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا ». (١)

قال ابن حجر: قوله « في فسحة » أي سعة. وقوله « من دينه »، وفي رواية « من ذنبه » فمفهوم الأول أن يَضِيقَ عليه دينُه، ففيه إشعار بالوعيد على قتل المؤمن متعمدا بما يتوعد به الكافر، ومفهوم الثاني أنه يصير في ضيق بسبب ذنبه، ففيه إشارة إلى استبعاد العفو عنه لاستمراره في الضيق المذكور.

- سفك الدماء بغير حق من ورطات الأمور

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ، الَّتِي لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ. (٢)

قال ابن حجر: قوله إن من ورطات بفتح الواو والراء، جمع ورطة بسكون الراء وهي الهلاك يقال: وقع فلان في ورطة أي في شيء لا ينجو منه. . . . قوله سفك الدم: أي إراقته والمراد به القتل بأي صفة كان، لكن لما كان الأصل إراقة الدم عبر به. قوله: بغير حله. . فكأن بن عمر فهم من كون القاتل لا يكون في فسحة أنه ورط نفسه فأهلكها. (٣)

- استبعاد مغفرة الله لقاتل المؤمن متعمدا دليل على شناعة فعله

عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا، أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ». (٤)

---

(١) رواه البخاري (٦٨٦٢)

(٢) رواه البخاري (٦٨٦٣)

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ١٨٨)

(٤) رواه أبو داود (٤٢٧٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٣٢)

عن سعيد بن ميناء أن رجلا سأل عبد الله بن عمر فقال: إني قتلت رجلا فهل لي من توبة؟ قال: تزود من الماء البارد فإنك لا تدخلها أبدا. (١)

وقال سعيد بن جبير: من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعا، ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعا. قال ابن كثير: وهو أظهر الأقوال. (٢)

- زوال الدنيا أهون عند الله من قتل مسلم بغير حق

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو والبراء بن عازب رضي الله عنهم، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ (مؤمن) بِغَيْرِ حَقٍّ ». (٣)

- لو اشترك جميع المخلوقات في قتل مسلم لعذبهم الله به

عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ ». (٤)

وعَنْ أَبِي بَكَرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ مُسْلِمٍ لَكَبَّهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ ». (٥)

يؤخذ من الحديثين أن القطرة الواحدة من دم المسلم لها قدرها ووزنها عند الله تعالى

- قتل المسلم بغير حق سبب في الحرمان من الجنة

---

(١) رواه ابن المنذر في الأوسط (١٣/ ٣٧) وإسناده حسن، قال ابن حجر: قد ثبت عن ابن عمر. فتح الباري لابن حجر (١٢/ ١٨٩)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٩٣)

(٣) رواه الترمذي (١٣٩٥) وابن ماجة (٢٦١٩) وصححهما الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٠٥)

(٤) رواه الترمذي (١٣٩٨) وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٣٠)

(٥) رواه الطبراني (٥٦٥) وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٣٠)

عن جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيَّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بِمِلْءِ كَفٍّ مِنْ دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُهْرِيقَهُ فَلْيَفْعَل ». (١)

-قاتل المسلم مهما فرَّ في هذه الدنيا، فإنه لن يفلت يوم القيامة، ولن يتركه المقتول يوم القيامة

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالقَاتِلِ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي، حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ العَرْشِ ». فَذَكَرُوا لِابْنِ عَبَّاسٍ، التَّوْبَةَ، فَتَلاَ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا}. قَالَ: مَا نُسِخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَا بُدِّلَتْ، وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ. (٢)

فماذا سيقول القاتل لربه يوم القيامة؟ وبماذا سيرد؟ وكيف تثبت له حجة أمام ربه؟

وعن جُنْدُب بن عبد الله ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِقَاتِلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي، فَيَقُولُ: عَلاَمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ عَلَى مُلْكِ فُلاَنٍ ». (٣)

- المجترئ على الدماء من أبغض الناس عند الله

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلاَثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ ». (٤)

- لا يقبل الله صرفا ولا عدلا ممن تعدى على الدماء بغير حقها

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا فَاعْتَبَطَ بِقَتْلِهِ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا ». (١)

---

(١) رواه البخاري (٦٧٣٣)

(٢) رواه الترمذي (٣٠٢٩) والنسائي (٧/ ٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٣٣)

(٣) رواه أحمد (٤/ ٦٣) والنسائي (٧/ ٨٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٣٣)

(٤) رواه البخاري (٦٨٨٢)

ومن المسالك لحفظ الدماء والأرواح: منع الإنسان من إزهاق روحه أو التسبب في إزهاقها

حتى نفسك التي بين جنبيك لا تملكها أنت ولا يحل لك إزهاقها؛ ولهذا جاء الوعيد الشديد فيمن يقتل نفسه متعمداً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ». (٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « الَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ، وَالَّذِي يَطْعُنُهَا يَطْعُنُهَا فِي النَّارِ ». (٣)

فما أعظمها من شريعة وما أحرصها على حفظ دماء الناس وما أبعدها من التهم التي تُنسب إليها من المغرضين بأنها شريعة تتشوق لسفك دماء الناس، واللهِ إن هذا لهو البهتان العظيم.

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٧٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٠١)

(٢) رواه البخاري (٥٧٧٨) ومسلم (١٠٩)

(٣) رواه البخاري (١٣٦٥)

عِبَـــــادَةُ السِّـــــرِّ

لو نظرنا إلى أولئك الرجال الذين نسمع قصصهم ونرى آثارهم ونقرأ مصنفاتهم، وكأنهم أحياء بيننا بذكرهم وعلمهم وبما تركوا من العلم النافع، وإن غابوا عن الأعين في بطون الأرض وهم أموات إلا أنهم لا تزال أسماءهم تتردد على الألسن، فنتساءل ما السر في حياة هؤلاء وما العمل الذي عملوه كي يستحقوا أن تخلد أسماؤهم وإن ماتوا من مئات السنين، مع العلم أنهم لم يؤثر عنهم كثير صوم أو صلاة، فلعل هؤلاء كانت لهم سريرة بينهم وبين خالقهم عز وجل، **قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ:** مَا رَأَيْتُ رَجُلاً ارْتَفَعَ مِثْلَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ لَيْسَ لَهُ كَثِيرُ صَلاَةٍ وَلَا صِيَامٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ سَرِيرَةٌ(١).

ولعل السر والدافع الذي جعل السلف يسرون ويخفون أعمالهم، هو الإخلاص في العمل والخوف من عدم القبول، والخوف من الرياء والنفاق وسوء الخاتمة.

أهمية الإخلاص في العبادة

ومما يدل على أهمية الإخلاص أن الله عز وجل أمر به عباده فقال سبحانه: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: ٥]

وما صنَّفَ إمامٌ من أئمةِ السلفِ كتاباً إلا قدَّمه بالحديث عن الإخلاص في النية: وذلك طلباً لرضى الله ورجاءً في قبول العمل، **ومن أمثلة ذلك:**

ما ذكره الإمامُ البخاري في صدر كتابه الجامع الصحيح حديث عمر رضي الله عنه، "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"(٢).

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم(٦/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (١).

قال ابن بطال: وإنما قدَّم البخاري، حديث "الأعمال بالنيات" فى أول كتابه، ليُعلمَ أنَّه قَصَدَ فى تأليفه وجه الله عز وجل، ففائدة هذا المعنى، أن يكون تنبيهًا لكل من قرأ كتابه، أن يقصد به وجه الله تعالى كما قصده البخاري فى تأليفه(١).

وقال ابن دقيق العيد: حديث {إنما الأعمال بالنيات} قال أبو داود: إنه نصف الإسلام، أي: لأن الدين إما ظاهر، وهو العمل، أو باطن، وهو النية، والشافعي قال إنه ثلثه، لأن كسب العبد إما بقلبه أو بلسانه أو بجوارحه، والنية أحدهما(٢).

وليس هناك أخطر على العبادة من الرياء وهو أخوف شيء خافه النبي ﷺ على أمته فعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ " قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً "(٣).

ومن أفزع الأحاديث على قلوب المخلصين حديث الثلاثة الذين تسعر بهم النار الذي جعل أبا هريرة رضي الله عنه، كلما حدَّث به سقط مغشيًا عليه من الخوف، فعَن شُفَيٍّ الأَصْبَحِيِّ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ مَنْ هَذَا فَقَالُوا أَبُو هُرَيْرَةَ-وفيه- ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلاً ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرَجُلٌ كَثِيرُ

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٣١).

(٢) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: ٢٢).

(٣) أخرجه أحمد(٢٣٦٣٠)، وصححه الألباني في الجامع الصغير(٢٤٣٥).

الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي قَالَ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ قَالَ كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ إِنَّ فُلاَنًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ قَالَ كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ.

فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلاَنٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ.

وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ فِي مَاذَا قُتِلْتَ فَيَقُولُ أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلاَنٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ ". ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلاَثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".

فدَخَلَ رَجُلٌ يَعْنِي عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَحَدَّثَهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلاَءِ هَذَا فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ وَقُلْنَا قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: ١٥، ١٦](١).

فضل العبادة في السر

(١) أصل الحديث مختصرًا عند مسلم(١٩٠٥)، وأخرجه الترمذي(٢٥٥٧) بهذا اللفظ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢).

وفضل عبادة السر متنوع يدخل في سائر الأعمال كالصدقة والصيام والقيام والبكاء من خشية الله وفي غيرها من الأعمال ولقد كثرت الأدلة من الكتاب والسنة التي ترغب في عمل السر ومن ذلك:

قوله تعالى: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [البقرة: ٢٧١]

قال ابن كثير: "فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها؛ لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة، من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية "(١).

وقال سبحانه: { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف: ٥٥]

قال الطبري: " قوله تعالى: {تَضَرُّعًا}تذلُّلا واستكانة لطاعته { وَخُفْيَةً }أي بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه، لا جهارًا ومراءاةً، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، فِعلَ أهل النفاق والخداع لله ولرسوله"(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ –ذكر منهم– رَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير(١/ ٧٠١).

(٢) تفسير الطبري(١٢/ ٤٨٥).

(٣) أخرجه البخاري(٦٦٠)، ومسلم(١٠٣١).

قال ابن حجر: "قوله ذكر الله أي بقلبه من التذكر أو بلسانه من الذكر وخاليا أي من الخلو لأنه يكون حينئذ أبعد من الرياء والمراد خاليا من الالتفات إلى غير الله ولو كان في ملأ.

قال القرطبي: وفيض العين بحسب حال الذاكر وبحسب ما يكشف له ففي حال أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله وفي حال أوصاف الجمال يكون البكاء من الشوق إليه"(١).

قِيلَ لِلْحَسَنِ: مَا بَالُ الْمُتَهَجِّدِينَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وُجُوهًا؟ قَالَ: لِأَنَّهُمْ خَلَوْا بِالرَّحْمَنِ فَأَلْبَسَهُمْ مِنْ نُورِهِ نُورًا(٢).

وقال ابن رجب: "وأفضلُ الأعمال خشية الله فِي السر والعلانية، وخشية الله فِي السر إنما تصدر عَن قوة إيمان ومجاهدةٍ للنفس والهوى، فإن الهوى يدعو فِي الخلوة إلى المعاصي، ولهذا قيل: إن من أعز الأشياء الورع فِي الخلوة" (٣).

وعن سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِىَّ الْغَنِىَّ الْخَفِيَّ "(٤).

والتقي: الذي يتقي الله عز وجل فيقوم بأوامره ويجتنب نواهيه، **والغني**: من استغنى بالله، ورضي بما قسم الله له، وقيل: يعني به غنى النفس، **والخفي**: يعني به الخامل الذي لا يريد العلو فيها ولا الظهور في مناصبها(١).

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٤٧).

(٢) مختصر قيام الليل لابن نصر المروزي(ص: ٥٨).

(٣) فتح الباري لابن رجب (٤/ ٦٣).

(٤) أخرجه مسلم(٢٩٦٥).

وعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ رضي الله عنه، يَقُولُ: "أَيُّكُمُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ"(٢).

وقال إِبْرَاهِيمُ بْنَ أَدْهَمَ: "مَا صَدَقَ اللهَ عَبْدٌ أَحَبَّ الشُّهْرَةَ"(٣).

وَقَالَ بِشْرٌ بن الحارث: "لَا يَجِدُ حَلاَوَةَ الْآخِرَةِ رَجُلٌ يُحِبُّ أَنْ يَعْرِفَهَ النَّاسُ "(٤).

السلف وعبادة السر

وفي الوقوف على حياة سلفنا الصالح فوائد كثيرة بها تعلو الهمم وترق القلوب وفيها عبرة لمن يعتبر، فإن الواحد منا قد يعجز عن إدراك الأنبياء وما كانوا عليه من الاستقامة والصلاح والعبادة فهم معصومون مؤيدون من قبل ربهم، لكن السلف هم بشر مثلنا ولا عصمة لهم بل إن بعضا ممن نذكر خبرهم لم يروا النبي ﷺ، ومع ذلك فإنك ترى في أمرهم العجب لا سيما ما كانوا عليه من عبادة السر، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ، قَالَ: "لَقَدْ أَدْرَكْتُ رِجَالًا كَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ رَأْسُهُ مَعَ رَأْسِ امْرَأَتِهِ عَلَى وِسَادَةٍ وَاحِدَةٍ قَدْ بُلَّ مَا تَحْتَ خَدِّهِ مِنْ دُمُوعِهِ لَا تَشْعُرُ بِهِ امْرَأَتُهُ وَلَقَدْ أَدْرَكْتُ رِجَالًا يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي الصَّفِّ فَتَسِيلُ دُمُوعُهُ عَلَى خَدِّهِ وَلَا يَشْعُرُ بِهِ الَّذِي إِلَى جَانِبِهِ"(٥)، وعلى رأس هؤلاء صحابة نبينا رضوان الله عليهم، ثم الذين يلونهم من التابعين لهم بإحسان.

---

(١) وانظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي(٢٢/ ١٤٩)، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين(ص: ٦٢٩).

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك(١١٠٩)، ومسند ابن الجعد (٦٨٢).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم(٨/ ٣١).

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم(٨/ ٣٤٣).

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم(٢/ ٣٤٧).

-فقد رُوي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، خَرَجَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ فَرَأَهُ طَلْحَةُ، فَذَهَبَ عُمَرُ فَدَخَلَ بَيْتًا ثُمَّ دَخَلَ بَيْتًا آخَرَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ طَلْحَةُ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَإِذَا بِعَجُوزٍ عَمْيَاءَ مُقْعَدَةٍ، فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَذَا الرَّجُلِ يَأْتِيكِ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ يَتَعَاهَدُنِي مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، يَأْتِينِي بِمَا يُصْلِحُنِي، وَيُخْرِجُ عَنِّي الْأَذَى، فَقَالَ طَلْحَةُ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا طَلْحَةُ أَعَثَرَاتِ عُمَرَ تَتَبَّعُ؟ "(١).

وَقَالَ أَسْلَمُ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مَعَ عُمَرَ إِلَى حَرَّةِ وَاقِمٍ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِصِرَارٍ إِذَا بنار فقال: يا أسلم ههنا رَكْبٌ قَدْ قَصَّرَ بِهِمُ اللَّيْلُ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِمْ، فَأَتَيْنَاهُمْ فَإِذَا امْرَأَةٌ مَعَهَا صِبْيَانٌ لَهَا وَقِدْرٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى النَّارِ وَصِبْيَانُهَا يَتَضَاغَوْنَ، فَقَالَ عُمَرُ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَصْحَابَ الضَّوْءِ، قَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ.

قَالَ: أَدْنُو. قَالَتْ: ادْنُ أَوْ دَعْ.

فَدَنَا فَقَالَ: مَا بَالُكُمْ؟ قَالَتْ: قَصَّرَ بِنَا اللَّيْلُ وَالْبَرْدُ.

قَالَ: فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصِّبْيَةِ يَتَضَاغَوْنَ؟ قَالَتْ: مِنَ الْجُوعِ.

فَقَالَ: وَأَيُّ شيء عَلَى النَّارِ؟ قَالَتْ: مَاءٌ أُعَلِّلُهُمْ بِهِ حَتَّى يَنَامُوا، اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُمَرَ.

فَبَكَى عُمَرُ وَرَجَعَ يُهَرْوِلُ إِلَى دَارِ الدَّقِيقِ فَأَخْرَجَ عِدْلًا مِنْ دَقِيقٍ وَجِرَابَ شَحْمٍ، وَقَالَ: يَا أَسْلَمُ احْمِلْهُ عَلَى ظَهْرِي، فَقُلْتُ: أَنَا أَحْمِلُهُ عَنْكَ. فَقَالَ: أَنْتَ تَحْمِلُ وِزْرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟.

فَحَمَلَهُ على ظهره وانطلقنا إلى المرأة فألقي عَنْ ظَهْرِهِ وَأَخْرَجَ مِنَ الدَّقِيقِ فِي الْقِدْرِ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ مِنَ الشَّحْمِ، وَجَعَلَ يَنْفُخُ تَحْتَ الْقِدْرِ وَالدُّخَّانُ يَتَخَلَّلُ لِحْيَتَهُ سَاعَةً، ثُمَّ أَنْزَلَهَا عن النار وقال: إيتيني بصحفة.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم(١/ ٤٨)، وحياة الصحابة للكاندهلوي(٢/ ٢١٨).

فأتي بها فغرفها ثم تركها بَيْنَ يَدَيِ الصِّبْيَانِ وَقَالَ: كُلُوا، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا - وَالْمَرْأَةُ تَدْعُو لَهُ وَهِيَ لَا تَعْرِفُهُ - فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُمْ حَتَّى نَامَ الصِّغَارُ، ثُمَّ أوصلهم بنفقة وانصرف، ثم أقبل على فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ الْجُوعُ الَّذِي أَسْهَرَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ(١).

-**وعَنْ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ**، قَالَ: " لَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَغَسَّلُوهُ جَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى آثَارٍ سَوْدَاءَ بِظَهْرِهِ، فَقَالُوا: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ: كَانَ يَحْمِلُ جُرُبَ الدَّقِيقِ لَيْلاً عَلَى ظَهْرِهِ يُعْطِيهِ فُقَرَاءَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ".

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: "كَانَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَعِيشُونَ لَا يَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ كَانَ مَعَاشُهُمْ، فَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَقَدُوا مَا كَانُوا يُؤْتَوْنَ بِهِ فِي اللَّيْلِ".

وعن مُحَمَّدِ بنِ حَفْصٍ القرشي قَالَ: " سَمِعْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، يَقُولُونَ: "مَا فَقَدْنَا صَدَقَةَ السِّرِّ حَتَّى مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ"(٢).

-**وعن امْرَأَةُ حَسَّانَ بْنِ أَبِي سِنَانٍ** قَالَتْ: " كَانَ يَجِيئُ فَيَدْخُلُ مَعِي فِي فِرَاشِي ثُمَّ يُخَادِعُنِي كَمَا تُخَادِعُ الْمَرْأَةُ صَبِيَّهَا، فَإِذَا عَلِمَ أَنِّي قَدْ نِمْتُ سَلَّ نَفْسَهُ فَخَرَجَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي " قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ كَمْ تُعَذِّبُ نَفْسَكَ ارْفُقْ بِنَفْسِكَ، قَالَ: " اسْكُتِي وَيْحَكِ فيُوشِكُ أَنْ أَرْقُدَ رَقْدَةً لَا أَقُومُ مِنْهَا زَمَانًا "(٣).

-**وعَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ** قَالَ: " كَانَ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِيُّ فِي مَجْلِسٍ، فَجَاءَتْهُ عَبْرَةٌ، فَجَعَلَ يَمْتَخِطُ، فَيَقُولُ: "مَا أَشَدَّ الزُّكَامَ"(٤).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير(٧/ ١٥٣).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم(٣/ ١٣٦).

(٣) أخرجه البيهقي شعب الإيمان(٢٩٣٢)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ١١٧).

(٤) أخرجه علي بن الجعد في مسنده(١٢٤٦).

-وكَانَ أَيُّوْبُ السِّخْتِيَانِيُّ يَقُوْمُ اللَّيلَ كُلَّه، فَيُخفِي ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ، رَفعَ صَوْتَه كَأَنَّهُ قَامَ تِلْكَ السَّاعَةَ(١).

-**وعن زَائِدَةَ** أن مَنْصُوْرَ بنَ المُعْتَمِرِ صَامَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً، وَقَامَ لَيْلَهَا، وَكَانَ يَبْكِي، فَتَقُوْلُ لَهُ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ، قَتَلتَ قَتِيْلاً؟

فَيَقُوْلُ: أَنَا أَعْلَمُ بِمَا صَنَعتُ بِنَفْسِي.

فَإِذَا كَانَ الصُّبْحُ، كَحَّلَ عَيْنَيْهِ، وَدَهَنَ رَأْسَه، وَبرَّقَ شَفَتَيْهِ، وَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ.

وَذَكَرَ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ مَنْصُوْراً، فَقَالَ: قَدْ كَانَ عَمِشَ مِنَ البُكَاءِ(٢).

وصَامَ دَاوُدُ بنُ أَبِي هِنْدٍ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً، لاَ يَعْلَمُ بِهِ أَهْلُه، كَانَ خَزَّازاً، يَحْمِلُ مَعَهُ غَدَاءهُ، فَيَتصدَّقُ بِهِ فِي الطَّرِيقِ(٣).

وقال الحسن: "كنت مع ابن المبارك يوماً فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا. يعني حيث لم نعرف ولم نوقر"(٤).

هذه مواقف لسلفنا رحمة الله عليهم وهذه صور من حياة أولئك النبلاء الأعلام وأولئك الأخفياء الذين حرصوا أن يكون لهم خبيئة من عمل، الذين حرصوا أن يكون بينهم وبين الله أسرار وأسرار، فاقتدوا بهم واقتفوا آثارهم واعرفوا لهم فضلهم فإنهم كانوا على هدى مستقيم.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي(٦/ ١٧).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي(٥/ ٤٠٦).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي(٦/ ٣٧٨).

(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي(٢/ ٣٢٣).

لكن كيف السبيل إلى طريقهم؟!

ومما يعين على الوصول إلى ما وصل إليه هؤلاء: الإكثار من القراءة في تراجم العلماء الربّانيين والعُبّاد الزاهدين، ومحاسبة النفس، وإدراك ثمار وفوائد قُرَب السِّر، وتنمية الحياء من النفس وجعله في رتبة أعلى من رتبة الحياء من الخلق، ومرافقة من تنفع مرافقته في الآخرة وتزيد صحبته المرء قرباً من الله تعالى، وتخصيص أوقات للخلوة بالله والأنس به والعيش في كنفه من اعتكاف وقيام ليل وخلوات للتفكر في ملكوت الله سبحانه وتعالى والذكر والدعاء والقراءة ونحو ذلك.

عن مسروق بن الأجدع قال: "إِنَّ الْمَرْءَ لَحَقِيقٌ أَنْ تَكُونَ لَهُ مَجَالِسُ يَخْلُو فِيهَا يَذْكُرُ فِيهَا ذُنُوبَهُ فَيَسْتَغْفِرُ مِنْهَا".

وليس كلُّ خفاءٍ يُحمد

وهناك أخفياءٌ لكن من نوع آخر، وما أكثرهم في زماننا-إلا من رحم ربك- يحرصون كل الحرص ألا يراهم أحد من الناس وما يفعلون، ولكنهم لا يختفون عن أعين الناس بعمل صالح طلبا للإخلاص وخشية الرياء فيه، لكنهم عاكفون في الخلوات على المحرمات ولا حول ولا قوة إلا بالله، غفل هؤلاء عن مراقبة ربهم، ونسوا أن الله عز وجل يعلم سرهم ونجواهم وأنهم إليه راجعون، فعَنْ ثَوْبَانَ بن بجدد رضي الله عنه، مولى رسول الله ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا" قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: "أَمَا

إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا"(١).

أخبر النبيﷺ عن هؤلاء أنهم من المسلمين، بل إنهم يصلون ويصومون ويأخذون نصيبًا من قيام الليل لكن إذا كانوا أمام الناس جدوا واجتهدوا في العمل والعبادة، أما إذا خلوا واستتروا عن أعين الناس فعلوا المحرمات فكانت هذه عادتهم فاستحقوا أن يحبط الله أعمالهم.

قال ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: " أَخْسَرُ الْخَاسِرِينَ مَنْ أَبْدَى لِلنَّاسِ صَالِحَ أَعْمَالِهِ، وَبَارَزَ بِالْقَبِيحِ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ"(٢).

ثمرات العبادة في السر

ومن أعظم الثمرات التي يحصلها العبد من العبادة في السر أن تورث عنده مراقبة من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وكذا مخافته جل جلاله والحياء منه والتعرف على جلاله وعظمته سبحانه وتعالى **ومنها:**

١- محبة الله عز وجل والدخول تحت ظل عرشه يوم القيامة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، **منهم**: وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، **ومنهم**: وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ "(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجة(٤٢٤٥)، وصححه الألباني في الجامع الصغير(٩١٥٩).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦٥٩١).

(٣) أخرجه البخاري(٦٦٠)، ومسلم(٢٤٢٧).

٢-تورث الخشية من الله جل جلاله التي بها ينال العبد المغفرة من الله والأجر العظيم:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك: ١٢]

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرًا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبًا عن الناس، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله، بأنه له مغفرة وأجر كبير، أي: يكفر عنه ذنوبه، ويجازى بالثواب الجزيل"(١).

(١) تفسير ابن كثير(٨/ ١٧٩).

obeikan.com

اسم الله الرزاق (٢)

ثمرات التعبد باسم الله الرزاق الدعاء باسم الله الرزاق بعض أسباب الرزق

ثمرات التعبد باسم الله الرزاق

إن تحقيق الإيمان باسم الله الرزاق يوجب للعبد ثمرات عظيمة ومعاني إيمانية جليلة منها:

أولا: تمام التوكل على الله تعالى

أول الثمرات التي يجنيها العبد من الإيمان باسم الله الرزاق أن يزداد ثقةً ويقينًا في ربه فلا يتوكل إلا عليه ولا يعلق قلبه إلا به، فإذا آمن العبد وأيقن أن رزقه بيد الله وحده تعلق به قلبه واعتمد عليه، وعند ذلك تساق له الأرزاق من حيث لا يحتسب؛ **قال بعض السلف**: توكل على الله تُسقْ إليك الأرزاق بلا تعبٍ ولا تكلّف. (١)، **عن عُمرَ بْن الْخَطَّابِ** رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا ». (٢)

قال ابن رجب: هذا الحديث أصل في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق، **قال الله عز وجل**: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٢، ٣] ولو أن الناس حققوا التوكل على الله بقلوبهم، لساق إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو نوع من الطلب والسعي، لكنه سعي يسير. (٣)

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٠٢)

(٢) رواه أحمد (١/ ٣٠) والترمذي (٢٣٤٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٦٢٠)

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٩٦ - ٥٠٢) باختصار

قال ابن القيم: هذا إخبار بأنه سبحانه يرزق المتوكلين عليه من حيث لا يحتسبون وأنه لا يخليهم من رزق قط كما ترون ذلك في الطير فإنها تغدو من أوكارها خماصا فيرزقها سبحانه حتى ترجع بطانا من رزقه، وأنتم أكرم على الله من الطير وسائر الحيوانات فلو توكلتم عليه لرزقكم من حيث لا تحتسبون ولم يمنع أحدا منكم رزقه. (١)

ثانيا: اليقين والثقة بما في يد الله واليأس مما في أيدي الناس

فيكون العبد بما في يد الله أوثق منه بما في يد نفسه أو بما في أيدي الناس، وهذا ينشأ من صحة اليقين وقوته، فإن الله ضمن أرزاق عباده، وتكفل بها فمن حقق اليقين، وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين، قال تعالى عن مريم عليها السلام {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: ٣٧]

وقال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس: ٣١]

قال الحسن البصري: إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز وجل.

وقيل لأبي حازم: ما مالُك؟ قال: لي مالانِ لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس.

وقيل له: أما تخاف الفقر؟ فقال: أنا أخاف الفقر ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟!.

---

(١) جلاء الأفهام (ص: ٢٨٧)

وكان عطاء الخراساني لا يقوم من مجلسه حتى يقول: اللهم هب لنا يقينا منك حتى تهون علينا مصائب الدنيا، وحتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتبت علينا، ولا يصيبنا من الرزق إلا ما قسمت لنا. (١)

ثالثا: الإيمان باسم الله الرزاق: يجعل العبد مشغولا بالغاية التي خُلِقَ من أجلها دون غيرها

إذا صح إيمان العبد باسم الله الرزاق، انشغل بالغاية التي خلقه الله من أجلها وهي العبادة لأنه يعلم أن رزقه بيد الله فلا يحمل لذلك هما، وهو يوقن أن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته.

لما ذكر الله قضية العبادة ذكر بعدها أعظم الصوارف عنها فقال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]

قال ابن القيم: فرِّغ خاطرك للهَمِّ بما أمرتَ به ولا تشغله بما ضمن لك، فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان فما دام الأجل باقيا كان الرزق آتيا، وإذا سَدَّ عليك بحكمته طريقا من طرقه فتح لك برحمته طريقا أنفع لك منه، فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه وهو الدم من طريق واحدة وهو السُّرة فلما خرج من بطن الأم وانقطعت تلك الطريق فتح له طريقين اثنين وأجرى له فيهما رزقا أطيب وألذ من الأول لبنا خالصا سائغا. (٢)

قال حاتم الأصم: علمتُ أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحي منه. (٣)

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨٠)

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ٥٧)

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٧٣)

ولكن الكثير من الناس انشغل بالرزق المضمون، عن عبادة مدبر الكون، قال ابن القيم: حال أكثر النفوس أنهم يحرصون على الدنيا وقد أدبرت عنهم ويزهدون في الآخرة وقد هجمت عليهم، ويهتمون بما ضمنه الله ولا يهتمون بما أمرهم به ويفرحون بالدنيا ويحزنون على فوات حظهم منها ولا يحزنون على فوات الجنة وما فيها ولا يفرحون بالإيمان فرحهم بالدرهم والدينار. (١)

رابعا: ومن ثمرات الإيمان باسم الله الرزاق: الإكثار من الإحسان والتخلص من البخل والشح

فمن أيقن أن رزقه بيد الله الكريم الذي يخلف على عبده، فسيُكثر من الإحسان، ولن يبخل بما رزقه الله، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } [سبأ: **٣٩**]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ». (٢)

قال النووي: ذكروا فيه وجهين؛ أحدهما: معناه أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة. والثاني: أنه وإن نقصت صورته كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة. (٣)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ ». (٤)

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: **١٥٧**)

(٢) رواه مسلم (**٢٥٨٨**)

(٣) شرح النووي على مسلم (**١٦/ ١٤١**)

(٤) رواه البخاري (**٥٣٥٢**) ومسلم (**٩٩٣**)

قال النووي: هذا الحديث هو معنى قوله عز وجل { وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ } فيتضمن الحث على الإنفاق معنى في وجوه الخير والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى. (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا ». (٢)

قال العلماء: هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضيفان والصدقات ونحو ذلك بحيث لا يذم ولا يسمى سرفا والإمساك المذموم هو الامساك عن هذا. (٣)

ومن تأمل في سورة الليل يرى كيف ربط الله بين البخل والاستغناء عنه سبحانه فقال: {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى}. يبخل حين يحب المال ويصفه الله أنه إذا فعل فإنه بهذا يستغني عنه، لأنه يركن إلى ماله ويرى فيه الأمان والمستقبل والعزة.

خامسا: الإيمان باسم الله الرزاق يوجب للعبد دوامَ الافتقار والحاجة إلى الله تعالى

قال ابن القيم: حقيقة العبودية كمال الافتقار إِلي الله من كل وجه، وهذا الافتقار هو عين الغنى به. (٤)

وتأمل حال موسى عليه السلام الذي هو كليم الله، حين توسل إلى ربه بإظهار حاجته وافتقاره لربه: { ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ } [القصص: ٢٤]

---

(١) شرح النووي على مسلم (٧/ ٧٩)

(٢) رواه البخاري (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠)

(٣) شرح النووي على مسلم (٧/ ٩٥)

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٤٧)

قال السعدي: أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إليَّ وتيسره لي. وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال. (١) فإن الله تعالى كما يحبُّ من الداعي أن يتوسل إليه بأسمائه، وصفاته، ونعمه العامة والخاصة، فإنه يحب منه أن يتوسّل إليه بضعفه، وعجزه، وفقره، وعدم قدرته على تحصيل مصالحه، ودفع الأضرار عن نفسه، لما في ذلك من إظهار التضرع والمسكنة، والافتقار لله - عز وجل - الذي هو حقيقة كل عبد. (٢)

فإن الغنى وصف ذاتي للرب، والفقر والحاجة والضرورة وصف ذاتي للعبد.

المحور الرابع: الدعاء باسم الله الرزاق

فالدعاء باسم الله الرزاق من لوازم الإيمان بهذا الاسم فينبغي للمسلم أن يستعمل اسم الله (الرزاق) في دعائه إذا جاء مقتضاه، **عن أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، وَلْيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ، إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لاَ مُكْرِهَ لَهُ ». (٣) فدلنا النبي ﷺ أن ندعو الله تعالى ونوقن بالإجابة ونعزم في المسألة ونقول: اللهم ارزقنا

وعن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيّ ﷺ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ، عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلاَةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: « اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي ». (٤)

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦١٤)

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للسعدي (١/ ٢٢٨)

(٣) رواه البخاري (٧٤٧٧)

(٤) رواه مسلم (٢٦٩٧)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا ». (١)

وعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ. (٢)

المحور الخامس: بعض الأسباب التي تجلب الرزق

هذه بعض مفاتيح الرزق كأسباب يأخذ بها العبد استجلابا للزق منها:

- كثرة الاستغفار والتوبة

من الأسباب التي تجلب الرزق الاستغفار والتوبة، يقول تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً }. [نوح: ١٠-١٢].

يقول القرطبي: في هذه الآية والتي في هود دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الِاسْتِغْفَارَ يُسْتَنْزَلُ بِهِ الرِّزْقُ والْأَمْطَارُ. (٣)

وعَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ رضي الله عنه، يَسْتَسْقِي بِالنَّاسِ، فَمَا زَادَ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ حَتَّى رَجَعَ، قَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا نَرَاكَ اسْتَسْقَيْتَ؟ قَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ الْمَطَرَ بِمُجَادِيحِ السَّمَاءِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ، ثُمَّ قَالَ: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا}. (٤)

- تقوى الله تعالى والإيمان به

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٠) ومسلم (١٠٥٥)

(٢) رواه البخاري (١٨٩٠)

(٣) تفسير القرطبي (١٨/ ٣٠٢)

(٤) المطر والرعد والبرق لابن أبي الدنيا (ص: ١٠٦)

جعل الله تعالى التقوى من الأسباب التي تجلب الرزق وتزيده، فقال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ}. [الطلاق: ٢] فكل من اتقى الله ولازم مرضاته في جميع أحواله، فإن الله يثيبه في الدنيا والآخرة، ومن جملة ثوابه أن يجعل له فرَجاً ومخرجاً من كل شدة ومشقة، ويسوق إليه الرزق من وجه لا يحتسبه ولا يشعر به.

قَالَ قَتَادَةُ: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} أَيْ: مِنْ شُبُهَاتِ الْأُمورِ والْكَرْبِ عِنْدَ الْمَوْتِ، {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} وَمِنْ حَيْثُ لَا يَرْجُو أَوْ لَا يَأْمُلُ. (١)

ويقول الله تعالى: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون)) [الأعراف: ٩٦].

يقول السعدي: لو أن أهل القرى آمنوا بقلوبهم إيماناً صادقاً صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهراً وباطناً بترك جميع ما حرَّم الله؛ لفتح عليهم بركات من السماء والارض، فأرسل السماء عليهم مدراراً، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمهم في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ولا كدٍّ ولا نصب. (٢)

- التبكير في طلب الرزق

---

(١) تفسير ابن كثير(٨/ ١٤٧)

(٢) تفسير السعدي(ص: ٢٩٨)

عَنْ صَخْر بن وداعة الْغَامِدِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا ». وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ. وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا، وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ. (١)

- صلة الرحم

ومن الأسباب الجالبة للرزق أيضاً صلة الرحم؛ **عن أَنَس بْن مَالِكٍ** ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ». (٢)

وقد عنون البخاري رحمه الله على هذين الحديثين بقوله: (باب من بُسط له في الرزق بصلة الرحم). أي بسبب صلة الرحم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي المَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ ». (٣)

- المتابعة بين الحج والعمرة

المتابعة بين الحج والعمرة من أسباب سعة الرزق ويسر الحال، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ ». (٤)

- التفرغ للعبادة

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٦) والترمذي (١٢١٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٧٨)

(٢) رواه البخاري (٢٠٦٧) (ينسأ له في أثره) يمد له في عمره ويؤخر أجله ويخلد ذكره.

(٣) رواه الترمذي (١٩٧٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٧٠)

(٤) [رواه الترمذي (٨١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٦٠)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: « **يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي، أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، مَلأْتُ صَدْرَكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ** ». (١)

وعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « قَالَ رَبُّكُمْ تَعَالَى: ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ قَلْبَكَ غِنًى، وَامْلأْ يَدَيْكَ رِزْقًا، ابْنَ آدَمَ لَا تَبَاعَدْ عَنِّي فَأَمْلأْ قَلْبَكَ فَقْرًا، وَأَمْلأْ يَدَيْكَ شُغْلاً ». (٢)

ففي هذين الحديثين وعد الله تعالى مَنْ تفرغ لعبادته بشيئين هما: ملء قلبه بالغنى، ويديه بالرزق، وتوعَّد من لم يتفرغ بعقوبتين هما: ملء قلبه فقراً ويديه شغلاً، ومن المعلوم أن من أغنى الله قلبه لا يقرب منه الفقر أبداً، ومن ملأ الرزَّاق يديه رزقاً لا يفلس أبداً.

والتفرغ للعبادة ليس معناه ترك الكسب والانقطاع عن طلب الرزق والجلوس في المسجد ليلاً ونهاراً، وإنما المراد أن يكون العبد حاضر القلب والجسد أثناء العبادة، خاشعاً خاضعاً لله، مستحضراً عظمة خالقه ومولاه، مستشعراً أنه يناجي مالك الأرض والسماء.

- شكر الله تعالى

فالشكر سبب عظيم لحفظ النعم وزيادتها، قال تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم: ٧]، فعلَّق سبحانه المزيد بالشكر، والمزيد منه لا نهاية له.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٨٨)

(٢) رواه الطبراني (٥٠٠) والحاكم ٤ / ٣٢٦ وصحح إسناده ووافقه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٢٩)

قال عمر بن عبدالعزيز: قيِّدوا نعم الله بشكر الله، فالشكر قيد النعم وسبب المزيد.

وقال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها فإن الله عز وجل قال في كتابه {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}. (١)

وقال تعالى: {وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} [النمل: ٤٠]

قال القرطبي: أَيْ لَا يَرْجِعُ نَفْعُ ذَلِكَ إِلَّا إِلَى نَفْسِهِ، حَيْثُ اسْتَوْجَبَ بِشُكْرِهِ تَمَامَ النِّعْمَةِ وَدَوَامَهَا وَالْمَزِيدَ مِنْهَا. وَالشُّكْرُ قَيْدُ النِّعْمَةِ الْمَوْجُودَةِ، وَبِهِ تُنَالُ النِّعْمَةُ الْمَفْقُودَةُ. (٢)

- اللجوء إلى الله عند الفاقة

فاللجوء إلى الله في كل الأحوال وخاصة عند الأزمات سبب عظيم لكفاية العبد، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ، فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ ». (٣)

- اجتناب الذنوب المعاصي

فالطاعات سبب لنزول النعم، وحصول البركات، والمعاصي والذنوب تزيل النعم وتحل النقم، قال الله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١]

وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [الأعراف: ٩٦]

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٣٩١)

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٠٦)

(٣) رواه الترمذي (٢٣٢٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٤٤)

- الإنفاق على من تفرغ لطلب العلم الشرعي

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا المُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: « لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ ». (١)

كان أحد الأخوين يأتي النبي ﷺ ويلازمه ليتلقى من معارفه ويأخذ من أقواله وأفعاله (والآخر يحترف) من الحرفة: وهي الصناعة وجهة الكسب (فشكا المحترف أخاه) في ترك الاحتراف (إلى النبي فقال) مسلياً له (فلعلك ترزق به) أي: فلعل قيامك بأمره سبب لتيسير رزقك، لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. (٢)

- إكرام الضعفاء والإحسان إليهم

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: رَأَى سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ** ». (٣)

قال المناوي: أي بدعوتهم وإخلاصهم، لأن عبادة الضعفاء أشد إخلاصا لخلاء قلوبهم عن التعلق بالدنيا وصفاء ضمائرهم مما يقطعهم عن الله فجعلوا همهم واحدا فزكت أعمالهم وأجيب دعاؤهم، والمراد أن ذلك من أعظم أسباب الرزق والنصر. (٤)

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٠٦)

(٢) دليل الفالحين لطرق لابن علان(٢/ ٢٨٧)

(٣) رواه البخاري (٢٨٩٦)

(٤) فيض القدير (٦/ ٣٥٤)

obeikan.com

وصية نبي الله نوح عليه السلام لولده (٢)
((احذر الشرك والكبر))

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ لابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنِّي مُوصِيكَ، فَقَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ باثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، لقَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأُوصِيكَ بِسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلاَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ »، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ الشِّرك قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: « أَنْ تُسَفِّهَ الْحَقَّ، وَتَغْمَصَ النَّاسَ ». (١)

ذكرنا من قبل الوصية الأولي والثانية واللتين تتمثلا في التوحيد والذكر، ثم كانت الوصية بالبعد عن المحرمات ومن أخطرها ما حذر منه نوح عليه السلام ولده

الوصية الثالثة: التحذير من الشرك

وذلك في قوله: « وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ » أي أحذرك من الوقوع في الشرك سواء في ذلك صغيره وكبيرة، قليله وكثيره، خفيه وظاهره. ومقتضى ذلك: أن يتبرأ من الشرك ومن أهله ويوالي التوحيد وأهله.

لماذا التحذير من الشرك

- لأنه أعظم الظلم، قال تعالى: { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان: ١٣]

- لأنه أعظم الذنوب، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٧٠) والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٨) والطبراني (١٣٦٥٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٥٩)

الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: « أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ ». (١)

- **لأنه يحبط الأعمال، قال تعالى لنبيه وحبيبه:** { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]

وقال سبحانه بعد ما ذكر كوكبة من الأنبياء والأصفياء: { وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ٨٨]

- **لأنه سبب الخذلان، قال تعالى:** { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا } [الإسراء: ٢٢]

- **لأنه لا يغفره الله أبدا إن مات عليه العبد، قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء: ٤٨]**

- **لأنه يحرِّمُ العبدَ على الجنة ويخلده في النار،** قال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } [المائدة: ٧٢]

الوصية الرابعة التحذير من الكبر

ذلك المرض الفتّاك والداء العضال الذي يفتك بالدين فتكًا، ويورد صاحبه المهالك

يقول أحد الحكماء: المتكبّر كالصاعد فوق الجبل يرى الناس صغارًا ويرونه صغيرًا.

قال الغزالي: الكبر آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواصّ من الخلق، وقلّما ينفكّ عنه العبّاد والزّهّاد والعلماء فضلا عن عوامّ الخلق. (٢)

وقد حذَّر نوح عليه السلام ابنه من الكبر في وصيته بقوله: « وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ »

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (٨٦)

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٤)

وتأمل كيف قرن الكبر بالشرك، لتعلم ما بينهما من التلازم، فإذا أصيب العبد بأحدهما ولم يدافعه جرَّه إلى الآخر منهما فاجتمعت فيه أصول الشر، قال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } [الصافات: ٣٥] فحملهم الكبر على التمرد على التوحيد والوقوع في الشرك، كما حمل إبليس اللعين على مخالفة الأمر، لذلك فالكبر هو أصل الكفر والشرك بل هو أشر من الشرك.

قال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول: التكبر شرٌّ من الشرك فإن المتكبر يتكبر عن عبادة الله تعالى، والمشرك يعبد الله وغيره.

قلت (ابن القيم): ولذلك جعل الله النار دار المتكبرين. قال تعالى: {ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [غافر: ٧٦]. (١)

حقيقة الكبر

وقد عرَّفه النبي ﷺ في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ ». (٢)

وعرَّفه في الحديث الذي معنا « أَنْ تُسَفِّهَ الْحَقَّ، وَتَغْمَصَ النَّاسَ ».

قال ابن الأثير: بطر الحق (سَفَهُ الحق): هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا. وقيل: هو أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقا. وقيل: هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله. (٣)

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣١٦)

(٢) رواه مسلم (٩١) ومعنى (بطر الحق) هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا (غمط الناس) معناه احتقارهم

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٣٥)

وغمط وغمص الناس: الطعن عليهم وازدراؤهم، فالمتكبر ينظر إلى نفسه بعين الكمال، وإلى غيره بعين النقص، فيحتقرهم ويزدريهم، ولا يراهم أهلا لأن يقوم بحقوقهم، ولا أن يقبل من أحد منهم الحق إذا أورده عليه. (١)

قال الغزالي: الكبر هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدْر الغير. (٢)

قال المناوي: التكبر: أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره وأعظم. (٣)

ولخطورة هذا المرض وسوء عاقبته أُورِدُ بعض الأدلة لنزداد حذرا وهروبا من هذا المرض الخطير

- الكبر منازعة لله في أخص صفاته

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ ». (٤) **يعني إنهما من صفاتي**. كما في القرآن: { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الحشر: **٢٣**] فهما صفتان من صفات الله تعالى. فلا ينبغي للعبد الضعيف أن يتكبر. (٥)

- أول ذنب عصي الله تعالى به

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٧٥)

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٥٣)

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٠٧)

(٤) رواه أبو داود (٤٠٩٠) وصححه الألباني صحيح الجامع(٢/ ٧٩٥)

(٥) تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص: ١٩٠)

قال عون بن عبد الله: إياك والكبر فإنه أول ذنب عصي الله به ثم قرأ { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: **٣٤**]. (١)

ذاك هو داء الكبر؛ الذي رفض إبليس بسببه السجود لآدم - عليه السلام -. . فجوزي باللعنة الدائمة. . وينتظره الخلود الدائم في النيران!

قال الغزالي: منبع الشقاوة الكبر والغفلة. (٢)

- الكبر من أخلاق الكافرين والجبابرة

قال السمرقندي: اعلم أن الكبر من أخلاق الكفار والفراعنة، والتواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين، لأن الله تعالى وصف الكفار بالكبر فقال: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} [الصافات: **٣٥**].

وقال تعالى: {وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ} [العنكبوت: **٣٩**].

- الكبر يبغضه الله ويبغض أهله

إذا رأيت الرجل يختال؛ فاعلم أنه من إخوان الشياطين. . ومن المبغوضين لله تعالى!

قال الله تعالى: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} [النحل: **٢٣**].

وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: **١٨**].

- الكبر يبغضه النبي ﷺ ويبغض أهله

عَنْ جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنكُمْ أَخْلاَقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٨٨)

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٧٨)

الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ »، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: « الْمُتَكَبِّرُونَ ». (١)

- الكبر دليل على نقصان العقل. . وسفاهة الرأي

ولذلك عد العلماء إبليس في جملة السفهاء. . وأهل الرأي الضعيف؛ عندما رفض الامتثال لأمر الله تعالى؛ فأبى أن يسجد لآدم - عليه السلام - محتجًا بأنه خير منه خلقة!

قال محمد بن الحسين بن علي: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط، إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر!. (٢)

قال العز بن عبد السلام: لَا يتكبر إِلَّا من جهل قدره وعظمة ربه. (٣)

ولتعلم أن الكبر وإن ظن صاحبه أنه أكبر من غيره؛ فهو في الحقيقة ضد ذلك. . فالمتكبر ذليل. . وضيع مع أنه ساع للترفع والعلو على الخلق!

وقالوا: لا يتكبر إلا كل وضيع، ولا يتواضع إلا كل رفيع. (٤)

- القليل من الكبر يحرم صاحبه من الجنة

مما يبين خطورة هذا المرض أن القليل منه يحرم صاحبه من دخول الجنة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ». (٥)

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٨) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٤١٩)

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٣٩)

(٣) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل (ص: ١٤٠)

(٤) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ١٤١)

(٥) رواه مسلم (٩١)

obeikan.com

- الكبر سبب لدخول النار

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ. أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ ». (١)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الخَبَالِ ». (٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، فَيَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلاَثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنِ ادَّعَى مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَالْمُصَوِّرِينَ ». (٣)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، عَنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: وُكِّلْتُ الْيَوْمَ بِثَلاَثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ، وَبِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ فَيَقْذِفُهُمْ فِي غَمَرَاتِ جَهَنَّمَ ». (٤)

---

(١) رواه البخاري (٦٠٧١) ومسلم (٢٨٥٣) ومعنى (كل ضعيف متضعف) معناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا. (كل عتل جواظ مستكبر) العتل الجافي الشديد الخصومة بالباطل وقيل الجافي الفظ الغليظ وأما الجواظ فهو الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته وقيل القصير البطين وقيل الفاخر وأما المستكبر فهو صاحب الكبر وهو بطر الحق وغمط الناس]

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٣٣٥)

(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٣٦) والترمذي (٢٥٧٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٩)

(٤) رواه أحمد (٣/ ٤٠) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٤٤٩)

openkan.com

ملف العدد
المسجد الأقصى في السنة النبوية

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه و عظيم سلطانه، و الصلاة و السلام على نبيه المصطفى، و رسوله المجتبى، وبعد:

فإن المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى، و مسرى نبينا ـ صلى الله عليه و سلم ـ، ومنه عرج به إلى السماوات العلى، وصلى فيه بالأنبياء والمرسلين، وبارك الله فيه وحوله، قال الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: ١]

و هو ثاني مسجد و ضع في الأرض بعد المسجد الحرام فعن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: " قلت يا رسول الله: أيُّ مسجد وضع في الأرض أوَّل؟

قال: المسجد الحرام. قال: قلت: ثم أيٌّ؟ قال: المسجد الأقصى.

قال: قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه. "[رواه البخاري (٣٣٦٦)، و مسلم (٥٢٠)]

و المسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، و مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم، ومسجد الأقصى. " [رواه البخاري (١١٨٩)، و مسلم (١٣٩٧)]

و له فضل على سائر المساجد إلا المسجد الحرام، و مسجد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصلاة فيه تعدل خمس مئة صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ومسجد الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ.

بل ومن صلى فيه لا يريد إلا الصلاة، لا يريد عرضًا من الدنيا، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه فعن عبد الله بن عمرو، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالاً ثلاثة:

سأل الله عز وجل حكمًا يصادف حكمه فأوتيه.

وسأل الله عز وجل ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه.

وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه. " [رواه النسائي(٦٩٣)، وابن ماجه (١٤٠٨)، و صححه الألباني]

حدود المسجد الأقصى:

والمسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم، و قد صار بعض الناس يطلق اسم المسجد الأقصى على المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب. رضي الله عنه. حين فتح بيت المقدس، وعرض لذلك صورًا، و منهم من يطلقه على قبة الصخرة التي بناها عبد الملك بن مروان، و كلاهما مجانب للصواب، فالمسجد الأقصى يضم ضمن حدوده المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب. رضي الله عنه .، و يضم القبة من خلفه و ليس هو واحدًا منهما.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى. جمع ابن القاسم. (٢٧ / ١١): " المسجد الأقصى: اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام، وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقدمه. "

نظرات في موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية

موسوعة بيت المقدس و بلاد الشام:

والكتاب الذي نعرض له كتاب من أهم كتب فضائل البلدان، بل هو من أهم وأجمع الموسوعات الحديثية التي ألفت حول بيت المقدس و بلاد الشام، وقد قامت فكرة الكتاب على ثلاث نقاط رئيسة:

الأولى: جمع كل ما ورد عن بيت المقدس و بلاد الشام سواء كان من الأحاديث المرفوعة، أو من الآثار الموقوفة من كتب السنة، أو من الكتب التي تخصصت في فضائل البلدان.

الثانية: لم يشترط المؤلف في جمعه الصحة، بل جمع كل ما في الباب سواء كان: صحيحًا، أو ضعيفًا، أو شديد الضعف، بل و الباطل، و قد يتعدى ذلك لذكر الإسرائيليات ما دامت في الباب.

الثالثة: حكم المؤلف على جميع الأحاديث و الآثار الواردة في الموسوعة بما أدى إليه اجتهاده، و بما تقتضيه قواعد المحدثين.

مؤلف الموسوعة:

هذا العمل الموسوعي قام عليه جمعًا و تبويبًا مجموعة من الباحثين النابهين تجاوزوا عشرة من الباحثين، و قام بالإشراف عليها، و الحكم على الأحاديث و الآثار الواردة فيها الشيخ: أبو عبد الرحمن أحمد بن سليمان بن أيوب، و الشيخ له جهود طيبة معروفة في خدمة السنة، و تراث الأمة.

منهج الموسوعة:

قسم الباحثون الموسوعة إلى ستة كتب رئيسة جمعوا تحتها الأحاديث و الآثار الواردة في الباب و هي:

. كتاب: الشام. . كتاب: بيت المقدس. . كتاب: الإسراء.

openkan.com

. كتاب: الفقه، وقد جمعوا فيه الأحاديث و الآثار التي تختص بالأحكام الفقهية المختصة بهذه البقعة المباركة

. كتاب: التفسير، و قد جمعوا فيه الآيات القرآنية على ترتيب المصحف. أعني ترتيب التلاوة. التي تختص بهذه البقعة المباركة، و ما ورد فيها من أحاديث، و آثار مفسرة لها.

. كتاب: الفتن، و قد جمعوا فيه الأحاديث و الآثار التي تذكر الفتن التي تقع في آخر الزمان في هذه البقعة المباركة.

و قد جمعت الموسوعة من كتب السنة المطبوعة، و كذلك من كتب فضائل البلدان مثل:

فتوح الشام للواقدي، فضائل البيت المقدس لأبي بكر الواسطي، فضائل الشام و دمشق لابن أبي لهول، فضائل الشام لأبي سعد السمعاني، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، فضائل القدس لابن الجوزي، فضائل بيت المقدس للضياء المقدسي، فضائل الشام لابن عبد الهادي، فضائل القدس و الشام لابن المرجا، الأنس الجليل بتاريخ القدس و الخليل للعليمي، ، الفتن لنعيم بن حماد.

بل و قد حققوا أربعًا من المخطوطات للاستفادة مما فيها من أحاديث و آثار، و هي:

. الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى لقاسم بن علي بن عساكر.

. و مثير الغرام إلى زيارة القدس و الشام لشهاب الدين أبي محمود المقدسي.

. و الروض المغرس في فضل بيت المقدس لتاج الدين أبي النصر الحسني الدمشقي.

. و إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى للمنهاجي.

و الباحثون يعرفون بسائر البقاع و البلدان المذكورة في الموسوعة و يذكرون أماكنها و أسماءها الآن، و يفسرون غريب الأحاديث و الآثار الواردة فيها.

و قد ختم الباحثون الكتاب بثمانية فهارس تفصيلية.

و الكتاب يضم بين جنباته أربعًا و أربعين و مئة و ألف حديث و أثر (١١٤٤).

الهدف من تأليف هذه الموسوعة:

قد لخص مركز بيت المقدس الهدف من إخراج هذه الموسوعة في أربع نقاط:

الأول: بيان أهمية بيت المقدس في القرآن و السنة.

الثاني: تنقية التراث الحديثي المقدسي، وذلك ببيان صحيحه من ضعيفه.

الثالث: إيجاد موسوعة تكون مرجعًا للباحثين، و طلاب العلم و الدعاة.

الرابع: إذكاء روح التعلق ببيت المقدس في نفوس المسلمين.

طريقة عرض المادة العلمية في الموسوعة:

قسمت الموسوعة إلى ستة كتب كما سبق، و قسمت الكتب إلى أبواب، و تحت كل باب من الأبواب ما يناسبه من الأحاديث و الآثار، فيذكر المؤلف الحديث بسنده من الكتاب الذي أخرجه، فإن كان في الحديث غريب أخذ رقمًا و شرح الغريب في حاشية الكتاب، و إن كان فيه بلدة من البلدان، و أو بقعة أو مكان تاريخي عُرِفَ به، و في نهاية الحديث يحشى عليه باستكمال تخريجه، و ذكر درجة الحديث من حيث الصحة أو الضعف.

من أمثلة ذلك:

" كتاب: بيت المقدس. باب: فتح بيت المقدس (ص **٣٢٠**)، يقولون:

قال ابن المبارك في الزهد: أخبركم أبو عمر بن حيويه، وأبو بكر الوراق قالا: أخبرنا يحيى قال: حدثنا الحسين قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، عن أيوب الطائي، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر أرض الشام أتي ببرذون فركبه، فهزه، فكرهه، فنزل عنه، وركب بعيره، فعرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره، ونزع موقيه، فأخذهما بيده، وخاض الماء، وهو ممسك بعيره بخطامه - أو قال: بزمامه - فقال له أبو عبيدة بن الجراح: لقد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الأرض، قال: فصك في صدره، ثم قال: "أوه - يمد بها صوته - لو غيرك يقول هذا يا

أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس، وأقل الناس، وأحقر الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله. "[١]

طبعات الكتاب:

للكتاب طبعة واحدة الناشر: مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية قبرص . نيقوسيا، الطبعة الأولى **١٤٣٤** هـ.**٢٠١٣** م.

هذا و أسأل الله أن يجمع قلب الأمة على الاعتصام بكتابه و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهذا أول الفتح و التمكين لها.

و هذا ما يسره الله في هذا المقال، و قد سطرته على عجالة من أمري، فإن يكن خيرًا فالحمد لله رب العالمين، و إن تكن الأخرى فاستغفر الله منه.

---

(١) صحيح: الزهد لابن المبارك (**٥٨٤**)، و أخرجه أبو نعيم في الحلية (**١ / ٤٧**)، و البيهقي في الشعب (**٦ / ٢٩١**) و الحاكم في المستدرك (**٣ / ٨٨**)، و ابن عساكر في التاريخ (**٤٤ / ٥**)، وابنه في الجامع المستقصى (ق **١٦٤** ب)، و المحاملي في أماليه (**٢٣٩**)، كهم من طريق سفيان ابن عيينة به.
و ذكره شهاب الدين المقدسي في مثير الغرام (ق **٩** أ) و السيوطي المهاجي في اتحاف الأخصا (ق **٢٤** أ)، وقال الحاكم عقبه صحيح على شرطهما.
قلت و هو كما قال، و أيوب هو ابن عائذ الطائي، و قيس بن مسلم هو الجدلي، و كلاهما ثقة من رجال الشيخين، و باقي الإسناد أئمة مشاهير.
و أخرجه أيضًا الحاكم في المستدرك (**١ / ١٣٠**)، و ابن أبي شيبة في مصنفه (**٧ / ٣٩.٩٠**)، وهناد في الزهد (**٨١٧**)، و ابن عساكر في التاريخ (**٤٤ / ٤**)، كلهم من طريق الأعمش، عن قيس بن مسلم بنحوه.
و قد صحح الشيخ الألباني. رحمه الله. هذا الحديث في صحيح الترغيب و الترغيب (**١ / ١٠٠**) فقال: صحيح موقوف. "

الفهـــارس

وإن تتولوا. . . يستبدل ٢
المسجد الأقصى ومسؤولية الأمة..... ٧
أسباب النصر والتمكين بين التداعي والتخاذل ١٨
اسم الله الرزاق (١)..... ٢٩
وصية نبي الله نوح عليه السلام لولده ((الزم التوحيد والذكر)) (١) ٤٥
حرمة الدماء في الشريعة الإسلامية ٥٦
عِبَـادَةُ السِّـرِّ ٧٠
اسم الله الرزاق (٢)..... ٨٢
وصية نبي الله نوح عليه السلام لولده ((احذر الشرك والكبر)) (٢)..... ٩٤
ملف العدد..... ١٠١
المسجد الأقصى في السنة النبوية ١٠١
نظرات في موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية ١٠٣

obeikan.com